الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

مجلة الجامعة الإسلامية

للعلوم الشرعية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد : ١٨٨ الجزء الأول السنة : ٥٢ رجب ١٤٤٠ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

معلومات الإيداع

النسخة الورقية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٦ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ

الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٨٩٨

النسخة الإلكترونية:

تم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية برقم ١٤٣٩/٨٧٣٨ وتاريخ ١٤٣٩/٠٩/١٧ هـ

الرقم التسلسلي الدولي للدوريات (ردمد) ١٦٥٨-٧٩٠١

الموقع الإلكتروني للمجلة:

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة إلى البريد الإلكتروني:

Es.journalils@iu.edu.sa

(الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة)

هيئة التحرير

أ.د. أمين بن عائش المزيني
(رئيس التحرير)
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن جليدان الظفيري
أستاذ العقيدة بالجامعة الإسلامية

أ.د. حافظ بن محمد الحكمي
أستاذ علوم الحديث بالجامعة الإسلامية

أ.د. محمد سعد بن أحمد اليوبي
أستاذ أصول الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. أحمد بن محمد الرفاعي
أستاذ الفقه بالجامعة الإسلامية

أ.د. عبد الرحيم بن عبد الله الشنقيطي
أستاذ القراءات بالجامعة الإسلامية

أ.د. علي بن سليمان العبيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (سابقاً)

أ.د. مبارك محمد أحمد رحمة
أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة أم درمان الإسلامية

أ.د. محمد بن خالد عبد العزيز منصور
أستاذ الفقه وأصوله بالجامعة الأردنية وجامعة الكويت

***

سكرتير التحرير: **خالد بن سعد الغامدي**
قسم النشر: **عمر بن حسن العبدلي**

الهيئة الاستشارية

أ.د. سعد بن تركي الخثلان
عضو هيئة كبار العلماء (سابقًا)

سمو الأمير د. سعود بن سلمان بن محمد آل سعود
أستاذ العقيدة المشارك بجامعة الملك سعود

معالي الأستاذ الدكتور يوسف بن محمد بن سعيد
نائب وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

أ.د. عياض بن نامي السلمي
رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية

أ.د. عبد الهادي بن عبد الله حميتو
أستاذ التعليم العالي في المغرب

أ.د. مساعد بن سليمان الطيار
أستاذ التفسير بجامعة الملك سعود

أ.د. غانم قدوري الحمد
الأستاذ بكلية التربية بجامعة تكريت

أ.د. مبارك بن سيف الهاجري
عميد كلية الشريعة بجامعة الكويت (سابقاً)

أ.د. زين العابدين بلا فريج
أستاذ التعليم العالي بجامعة الحسن الثاني

أ.د. فالح بن محمّد الصغير
أستاذ الحديث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. حمد بن عبد المحسن التويجري
أستاذ العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

أ.د. عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة
أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء

قواعد النشر في المجلة(*)

- أن يكون البحث جديداً؛ لم يسبق نشره.
- أن يتّسم بالأصالة والجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.
- أن لا يكون مستلًّا من بحوثٍ سبق نشرها للباحث.
- أن تراعى فيه قواعد البحث العلميّ الأصيل، ومنهجيّته.
- أن يشتمل البحث على:
  - صفحة عنوان البحث باللغة العربية
  - صفحة عنوان البحث باللغة الإنجليزية
  - مستخلص البحث باللغة العربيّة
  - مستخلص البحث باللغة الإنجليزيّة
  - مقدّمة
  - صلب البحث
  - خاتمة تتضمّن النّتائج والتّوصيات
  - ثبت المصادر والمراجع باللغة العربية
  - رومنة المصادر العربية بالحروف اللاتينية في قائمة مستقلة.
  - الملاحق اللازمة (إن وجدت).
- في حال (نشر البحث ورقياً) يمنح الباحث نسخة مجانية واحدة من عدد المجلة الذي نُشر بحثُه فيه، و (١٠) مستلات من بحثه.
- في حال اعتماد نشر البحث تؤول حقوق نشره كافة للمجلة، ولها أن تعيد نشره ورقيّاً أو إلكترونيّاً، ويحقّ لها إدراجه في قواعد البيانات المحلّيّة والعالمية – بمقابل أو بدون مقابل – وذلك دون حاجة لإذن الباحث.
- لا يحقّ للباحث إعادة نشر بحثه المقبول للنّشر في المجلّة – في أي وعاء من أوعية النّشر – إلاّ بعد إذن كتابي من رئيس هيئة تحرير المجلة.
- نمط التوثيق المعتمد في المجلة هو نمط (شيكاغو) (Chicago).

(*) يرجع في تفصيل هذه القواعد العامة إلى الموقع الإلكتروني للمجلة:
http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

محتويات العدد

م	البحث	رقم الصفحة
١)	القراءات الشاذة في كتاب المستدرك على الصحيحين- دراسةً وتوجيهًا د. أحمد بن فارس السلوم	٩
٢)	اللمعة في خلاف السبعة للإمام عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الوهاب الحارثي المزني الحنفي الشهير بابن وهبان(٧٦٨هـ) – دراسةً وتحقيقًا وتعليقًا من أول الكتاب إلى آخر أبواب الأصول د. هشام بن سليمان بن محمد الزريري	٩٧
٣)	تراجم القراء في غير المعرفة والغاية – قراء الأندلس أنموذجًا د. يوسف بن مصلح بن مهل الردادي	٢٢٧
٤)	التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم د. محمود علي عثمان عثمان	٣٤٩
٥)	أهمية دراسة اللغة العربية لطلاب الدراسات القرآنية ووسائل النهوض بها أ.د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي	٤٥٩
٦)	منهج المفسرين في التعامل مع أسانيد التفسير د. عبد الحي بن دخيل الله المحمدي	٥٨١
٧)	محاكمة الغماري وابن عاشور في حديث "مدينة العلم" د. أحمد بن علي الحندودي الغامدي	٧٠٥

مجلّة الجامعة الإسلاميّة للعلوم الشرعية – العدد ١٨٨ – الجزء الأول

التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم

The Semantic Accuracy of Quranic Unique Words Mentioned in the Context of the Discussion About the Holy Quran

إعداد:

د. محمود علي عثمان عثمان

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات القرآنية بكلية التربية بجامعة الملك فيْصل بالأحساء

المستخلص

قامت فرضية البحث على فكرة جمع الفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، والنظر فيها على هيئة مخصوصة لبيان معناها واستخراج عناصرها وربطها برباط جامع، وإثبات تمكنها الدلالي في سياقها وتساوقها معه أتمّ تساوق، ولذا فقد تطلب تحقيق ذلك بيان مسوّغات التمكن الدلالي للفرائد القرآنية أولا، وقد تم ذلك أثناء الدراسة بالدرس الدلالي المعجمي لهذه الفرائد، والدرس التركيبي لها في سياقها الخاص، ثم جمع العلائق بين هذه الفرائد والنظر في العلاقات المعنوية الممكنة بينها نظرا يجعل من الموضوع وحدة واحدة مسلسلة ومرتبة ترتيبا فنيا يتفق مع النمط القرآني.

الكلمات المفتاحية: التمكّن الدّلالي، الفرائد، السياق.

Abstract

The hypothesis of the research was informed by the idea of collecting Quranic unique words mentioned in the context of the discussion about the Holy Quran, and considering them in a specific way to explicate their meaning and extract their elements and to link them with a bond that will combine them, and to prove their semantic accuracy in their respective context and their total consistency. Doing this will require explaining the rationale for their semantic accuracy in the first place, and this has been done in the tenor of the research through the study of the lexical semantics of these unique words, and the structural study in their respective contexts, followed by collecting the relationships between these unique words and considering the possible conceptual relations between them, in such a way that would carve the subject into one serialized and well-arranged unit, with a technical arrangement that would be consistent with the Quranic style.

Keywords: Semantic Accuracy, Unique Words, Context.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]، وقد عجز عن مجاراته الإنس والجنّ إذ تحدّاهم إلى قيام الساعة أن يأتوا بمثله ولو اجتمعوا، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، والصلاة والسلام على أبلغ وأفصح الناس محمد ﷺ وعلى آله وصحابته والتابعين ومَن سلك منهجهم إلى يوم الدين.

فالقرآن الكريم معجزة النبيﷺ الخالدة، لا تنقضي عجائبه ولطائفه وأسراره، ولا تفنى غرائبه، وقد أنزله الحكيم الخبير بميزان حكيم دقيق، فجاء في ذروة الفصاحة والبلاغة إلى الحدّ الذي عجز عنه جميع الناس، فكل حرف وكل لفظة فيه لا يغني غيرها عنها، ولا يحقّق المعنى والغرض المقصود، فنظْمه وأسلوبه بذلك فريد خارج عن المعهود من كلام العرب.

وقد هداني الله تعالى إلى البحث في كنز من كنوز القرآن الكريم المتعلقة بإعجازه اللغوي والبياني، وإلى أسلوب من الأساليب المعجزة للتعبير القرآني، وهي الألفاظ الفرائد التي ذُكرت مرة واحدة في كتاب الله تعالى بشأن القرآن الكريم دون أن يتكرّر جذرها اللغوي على أي حال من

(١) سورة الشعراء آية: ١٩٥.

(٢) سورة الإسراء آية: ٨٨.

الأحوال، أو صيغة من الصيغ، أو في سياق آخر مشابه لسياقها، وقد كانت هناك ألفاظ قريبة من معناها تشترك معها في الحقل الدلالي، ولكنْ لما آثر القرآن الكريم استعمال تلك الفرائد كان لذلك الإيثار سرّ بلاغي، وإعجاز بياني، جاء البحث ليكشف عنها بحول الله تعالى، مثبتا تمكّنها الدلالي من موقعها في السياق القرآني الواردة فيه، ثم بيان الرؤية القرآنية تجاه القرآن الكريم ذاته من خلال هذه الفرائد.

وقد اعتبر علماء الإعجاز "استعمال القرآن لأفصح الألفاظ بأحسن المواقع، متضمّنة أسلم المعاني، وأعلى الوجوه دلالة، من مخائل إعجاز القرآن"[(١)]، حتى أوضح الخطّابي[(٢)] هذا العلم بقوله: "واعلم أن

(١) محمد حسين علي الصغير، "تطور البحث الدلالي دراسة تطبيقية في القرآن الكريم". (ط١، بيروت: دار المؤرخ العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ٤٨.

(٢) حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان، فقيه محدث، من أهل بُسْت (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب (أخي عمر بن الخطاب) كان أحد أوعية العلم في زمانه حافظا فقيها مبرزا على أقرانه، له تصانيف منها: معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، وغريب الحديث، وإصلاح غلط المحدثين وغيرها، توفي في بُسْت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. ينظر ترجمته في: أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القَسنطيني، "الوفيات". تحقيق عادل نويهض، (ط٤، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ٢٢٢؛ وابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد العَكريّ الحنبلي، "شذرات= =الذهب في أخبار

القرآن إنما صار معجزا لأَنه جاء بأَفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمّنا أصح المعاني"[(١)]، و"إنّ تمكّن المفردة في سياقها القرآني يرتبط بالعلاقات بين البنى المتوالية للنصّ بأكمله وفقا لقانون التناسب الذي يجب أن يكون واضحا في كل نصّ لغوي"[(٢)].

ومن خلال وقوفي على الفرائد القرآنية المتنوّعة الواردة في القرآن الكريم ظهر لي تنوّع الموضوعات التي وردت فيها الفرائد القرآنية، وورودها بكثرة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم، في جوانب موضوعية متعددة تدور حوله، فعزمت بعد التوكّل على الله تعالى على دراسة الفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم دراسة موضوعية لغوية بيانية.

من ذهب". تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، (د. ط، دمشق: دار بن كثير، ١٤٠٦هـ)، ٣: ١٢٨؛ وخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، "الأعلام". (ط١٥، بيروت–لبنان: دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م)، ٢: ٢٧٢.

(١) الخطابي، "بيان إعجاز القرآن"، مطبوع ضمن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، سلسلة: ذخائر العرب (١٦). تحقيق محمد خلف الله، محمد زغلول، (ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٧٦م)، ٢٧.

(٢) محمد عبد الزهرة غافل، وشكيب غازي بصري الحلفي، "التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم". مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٥، (١٤٣٣هـ–٢٠١٢م): ٢٠٠.

وتكتسب هذه الدراسة أهميتها من الاعتبارات الآتية:

أولا: الفوائد العلمية

- أهمية المجال والموضوع الذي تبحث فيه، وهو مجال القرآن الكريم الذي هو أساس الدين، وفي موضوع الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، فهي دراسة لغوية بيانية موضوعية للفرائد القرآنية تهدف إلى بيان الإعجاز اللغوي والبياني للقرآن الكريم، وقد تناولْت تفسير الفرائد القرآنية تفسيرا لغويا بيانيا موضوعيا بمنهجية جديدة؛ من أجل إثبات تفرّدها في سياقها وأسباب هذا التفرّد، مما دعا إلى ضرورة التعريف بهذه المنهجية الجديدة، ومعالجتها معالجة علمية.
- بيان أهمية دراسة الفرائد القرآنية بشكل عام والفرائد الموضوعية بشكل خاص، ولذا فقد سعت الدراسة للخروج بتصور سليم حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم أو الخروج بنظرية قرآنية بصدد ذلك.
- بعض الألفاظ الفريدة التي تم تناولها والتي لم يتم تناولها لا تكاد تستخدم في كلام الناس ولا يُعرف معناها حتى لدى بعض المتخصّصين في اللغة، وتكمن أهمية الموضوع في أنه يساعد في التعريف بهذه الفرائد؛ كونها ألفاظ فذّة وغريبة في آن، وهي خطوة أولى نحو تعميم المعرفة بها وباستخداماتها، وهذه الخطوة مهمة لتيسير فهم القرآن وتدبّره.
- تعريف الباحثين في الحقلين القرآني والبلاغي بآخر المستجدات

البحثية التي تمت في دراسة الفرائد القرآنية من قِبل العلماء والباحثين، وذلك من خلال عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالفرائد القرآنية، وما ستضيفه هذه الدراسة بهذا الشأن.

- حلّ المشكلة البحثية المتمثّلة ببيان الأسرار البلاغية للتعبير بالفرائد القرآنية التي تتحدّث عن موضوعات متعددة متعلقة بالقرآن الكريم.
- جِدّة الموضوع الذي تبحث فيه الدراسة، فلم تقم دراسات علمية مستقلة محكّمة -على حدّ علمي-تناولت موضوع الفرائد القرآنية الموضوعية، واستخراج الأسرار البلاغية فيها، مما استدعى وجود دراسة مستقلة وافية تتناول الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم.

ثانيا: الفوائد التطبيقية

- تسعى هذه الدراسة لفتح آفاق لتدبّر القرآن الكريم، فهي معنية بالكشف عن التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، ولذا فالمجال البحثي مفتوح أمام الباحثين في الحقلين القرآني والبلاغي للوقوف على ذلك، وتقديم بحوث تتناول الفرائد القرآنية من جوانب موضوعية أخرى تناولتها الفرائد في القرآن الكريم، أو إضافة الجديد حولها.
- يمكن أن تكون هذه الدراسة نواة لتأليف معجم موضوعي للفرائد القرآنية، على غرار معاجم الألفاظ، ومعاجم الآيات، وعلى غرار

معجم الفرائد القرآنية الذي كان من فكرة الأستاذ باسم البسومي.

ولذلك يمكن للعلماء والدارسين والمهتمين بالدراسات القرآنية إفراد معجم موضوعي للفرائد القرآنية يقوم على ركنين، الأول: إحصاء الألفاظ القرآنية التي لم تتكرر إلا مرة واحدة فقط، ولم يشتق من جذرها اللغوي سواها، كما فعل الأستاذ باسم البسومي، والركن الآخر: جمع الفرائد القرآنية وتصنيفها موضوعيا، فقد تنوعت الموضوعات التي وردت فيها الفرائد القرآنية، حيث وردت في ثنايا الحديث عن القرآن، ويوم القيامة، والجنة والنار، والبعث والنشور، والمؤمنين والكافرين وأهل الكتاب، والشياطين، ومظاهر الطبيعة، والملائكة، وكذلك في ثنايا الحديث عن المولى سبحانه، وبالتالي يمكن أن تكون هذه الدراسة فاتحةً للقيام بدراسات موضوعية متعددة للفرائد القرآنية.

وفكرة المعجم الموضوعي للفرائد القرآنية خطوة مهمة نحو نشر المعرفة بالفرائد القرآنية واستخدامها في كلام الناس، وأولا وأخيرا هي خطوة مهمة لتيسير تدبّر القرآن الكريم وعقْله والعمل به.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما المسوّغات التي مكّنت الفرائد القرآنية –الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم–دلاليا من سياقها، وما الرؤية القرآنية التي يمكن أن تكشفها هذه الفرائد تجاه القرآن الكريم ذاته؟

أسئلة البحث

يمكن معالجة مشكلة الدراسة الحالية من خلال الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما المسوّغات التي مكّنت الفرائد القرآنية –الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم–دلاليا من سياقها، وما الرؤية القرآنية التي يمكن أن تكشفها هذه الفرائد تجاه القرآن الكريم ذاته؟

وتتفرّع منه الأسئلة الآتية:

- ما النكات البلاغية التي يمكن الكشف عنها من خلال التعبير بالفرائد القرآنية الواردة بشأن القرآن؟
- ما العلل اللفظية والمعنوية لمجيء صيغة الفرائد القرآنية على ما جاءت عليه في سياقها، وعدم تكرارها في سياق آخر مشابه لسياقها الأول؟
- كيف يمكن الكشف عن الرؤية القرآنية تجاه القرآن الكريم ذاته من خلال هذه الفرائد؟ وكيف يتحقّق المقصد الأساس من تفسير الفرائد القرآنية موضوعيا؟
- إلى أي مدى يسهم دراسة الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن في تدبّر القرآن الكريم وفهمه والوقوف على أسراره اللغوية والبيانية؟

أهداف البحث

تهدف الدراسة بيان المسوّغات التي مكّنت الفرائد القرآنية –

الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم–دلاليا من سياقها، وبيان الرؤية القرآنية التي يمكن أن تكشفها هذه الفرائد تجاه القرآن الكريم ذاته؟ وذلك لا يتمّ إلا بتحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

- بيان المقصود بالفرائد القرآنية، والتمكّن الدلالي.
- حصر الفرائد القرآنية الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم ودراستها من وجهة لغوية بيانية سياقية؛ لبيان أسرار تفرّدها واتّساقها دلاليا في السياق الواردة فيه.
- جمع العلائق بين الفرائد القرآنية –الواردة في ثنايا الحديث عن القرآن الكريم–برباط جامع ثم الخروج بتصور سليم ورؤية قرآنية حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم ذاته.
- إبراز خصوصية السياق ومقتضيات المقام في إيثار الفريدة واستدعائها دون غيرها من مرادفاتها، وبيان العلل اللفظية والمعنوية لمجيء صيغة الفرائد على ما جاءت عليه في سياقها وعدم تكرارها في سياق آخر مماثل للسياق الأول.

الدراسات السابقة

بعد الاطلاع والبحث لم أقف على دراسة مستقلة تناولت التمكّن الدلالي في الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة عن القرآن الكريم، فتبين لي بناء على ذلك حداثة وجدّة الموضوع وعدم طرقه من قِبل الباحثين على الرغم من أهميّته.

ومن أهم الدراسات المتعلقة بمجال الدراسة في موضوع الفرائد القرآنية ما يأتي:

أولا: مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية(١)، تناول الباحث فيها نماذج من الفرائد القرآنية بدراسة معجمية وصرفية وصوتية ودلالية بحتة، دون البحث في المسائل البلاغية فيها وإبراز اللمحات الفنية الجمالية في إطار سياقها، ولم يتعرّض كذلك لأسرار تفرد الفرائد في مكانها.

ثانيا: أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها دراسة تطبيقية على سورة مريم(٢)، حيث هدف البحث إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها، وكان مما تطرّق له الفرائد القرآنية ودورها في الدلالة على مقصد سورة مريم، ولكنه لم يتعرّض لبيان السرّ اللغوي والبياني الذي دعا لاستعمال هذه الفرائد في سياقها دون غيرها من مرادفاتها.

ثالثا: معجم الفرائد القرآنية(٣)، رصد فيه مؤلفه الفرائد القرآنية، وقام باستخراج معانيها من المعاجم اللغوية وكتب التفسير التي

(١) محمود عبد الله عبد المقصود يونس، رسالة ماجستير، (مصر: كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

(٢) توفيق بن علي مراد زبادي، مجلة تدبّر، ٣، (١٤٣٩هـ-٢٠١٧م): ١٤١-٢٣٢.

(٣) باسم سعيد البسوميّ، (رام الله: مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

تركّز على الجانب اللغوي، وهي دراسة معجمية بحتة.

رابعا: بلاغة الفرائد الفذّة في القرآن الكريم "المضارع نموذجا"[(١)]، تسلط هذه الدراسة الضوء على الفعل المضارع الفذّ، فتقوم بدراسته في سياقه، وتتلمّس بلاغة تفرّده، وعدم تكراره.

خامسا: الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية[(٢)]، تعرّض للأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية الواردة في ثنايا القصص القرآني فقط، فيبين معنى الفرائد في كتب التفسير واللغة، ويذكر مرادفات الفريدة موازنا بينها وبين الفريدة موضع الدراسة؛ وصولا إلى بيان الأسرار البلاغية التي كانت وراء اختيار تلك الفريدة دون غيرها من مرادفاتها، ولعل هذه الدراسة هي أقرب الدراسات إلى الدراسة الحالية؛ كونها تتناول جَمْع الفرائد القرآنية المتعلقة بموضوع من موضوعات القرآن، إلا أنها طرقت جانب الفرائد في القصص القرآني.

سادسا: التمكّن الدّلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم[(٣)]، جاء هذا البحث كمحاولة لتطبيق نظرية التمكّن الدلالي للمفردة من موقعها في السياق الواردة فيه، فاقتصر البحث فيه على عشرة

(١) كمال عبد العزيز إبراهيم، (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م).

(٢) عبد الله عبد الغني سرحان، مركز التدبّر للاستشارات التربوية والتعليمية، (السعودية: مطابع نجد التجارية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

(٣) محمد عبد الزهرة غافل، وشكيب غازي الحلفي، مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٥، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

أمثلة من المفردات التي وردت مرة واحدة في لغة القرآن الكريم.

سابعا: بلاغة الفرائد القرآنية[1]، حيث قامت الباحثة باستقراء الفرائد القرآنية كاملة وتصنيفها ودراستها، واستخراج الفنون البلاغية منها بعلومها الثلاثة (البيان والبديع والمعاني)، مع ذكر ما يؤيّده من أوجه بلاغية، ولغوية، ثم بيان الأسرار البلاغية التي دعت لاستعمال الفريدة في سياقها من الآية دون غيرها من مرادفاتها، بعد إجراء الموازنة بينها وبين الألفاظ القريبة لها في معناها.

ثامنا: الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية–دراسة تطبيقية: وهو عنوان مشروع علمي تقدمت به شعبة التفسير في قسم أصول الدين في الجامعة الأردنية لأطروحات الدكتوراة، شمل جميع سور القرآن الكريم، وقد قُسّم المشروع إلى سبع أطروحات، تمت الأطروحة الأولى من المشروع عام ٢٠١٥م، وتمت الأطروحة الأخيرة عام ٢٠١٧م، والمشروع عبارة عن دراسة دلالية موضوعية تربط بين دلالات الألفاظ الفريدة وبين شخصية وموضوعات السور الواردة فيها تلك الفرائد؛ للوقوف على أثر تلك الفرائد في تحديد

(١) سارة بنت نجر بن ساير العتيبي، رسالة دكتوراه في البلاغة والنقد، (المملكة العربية السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ–٢٠١٣م).

موضوع السورة الواردة فيها[١].

وما يهمّنا في استعراض الدراسات السابقة هو إبراز الفروقات وأوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه الدراسات وغيرها مما سيُذكر في ثنايا الدراسة وبين الدراسة الحالية، بمعنى إبراز الإضافات العلمية الجديدة التي ستضيفها الدراسة الحالية مقارنة بالدراسات السابقة، فأقول وبالله التوفيق:

إن غالبية الدراسات المتعلقة بالفرائد القرآنية إما دراسات معجمية لغوية اكتفت بذكر المعنى المعجمي للفرائد وبشكل موجز كما هو واضح في الدراستين الأولى والثالثة، وإما دراسات بلاغية بحتة كالدراسة السابعة، وإنْ تعرّضت أحيانا في دراستها لدراسة بعض

(١) عبد المولى عبد الله أحمد الزيوت، الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسور القرآنية: دراسة تطبيقية من أول سورة الرحمن إلى نهاية سورة المرسلات، (المملكة الأردنية الهاشمية، كلية الشريعة، ٢٠١٥م)؛ وعبيدة أسعد، دراسة تطبيقية من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة المائدة، (٢٠١٦م)؛ وأحمد حسين إسماعيل حسين، دراسة تطبيقية من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة طه (٢٠١٦م)؛ وشيرين فتحي أحمد العبد، دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة (٢٠١٦م)؛ ومثقال أحمد عبد الحليم عربيات، دراسة تطبيقية من أول سورة الأحزاب إلى نهاية سورة القمر (٢٠١٦م)؛ ومصطفى حمدو عبد الحميد عليا، دراسة تطبيقية في سور الجزء الثلاثين، (٢٠١٦م)؛ وعمر محمد أحمد حماد، دراسة تطبيقية من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة يوسف (٢٠١٧م).

الفرائد صرفيا وصوتيا، كما أنها لم تتعرض إلى ما ورد في الفرائد من أسرار بيانية ولغوية –إلا في القليل النادر–وأسرار تفردها في سياقها، وهي لا تُلام على ذلك إذ حدّدت في مقدمة دراستها أنها دراسة بلاغية فقط، وإما دراسات جزئية طرقت جانبا واحدا من الفرائد، وذلك كما في الدراسات الرابعة والخامسة، وإما دراسات اقتصرت على عدد محدود من الفرائد ولا يجمعها رابط أو موضوع كما في الدراسة السادسة، وإما دراسات تعرّضت لدلالة الفريدة على مقصد سورة معينة دون التعرّض لبيان السرّ اللغوي والبياني الذي دعا لإيثار هذه الفرائد في سياقها دون غيرها من مرادفاتها، وذلك كما في الدراسة الثانية، وإما دراسات تناولت العلاقة بين اللفظ الفريد ووحدة السورة الموضوعية؛ للوقوف على أثر تلك الفرائد في تحديد موضوع السورة الواردة فيها، كما في الدراسة الثامنة.

لذا يتبين عدم وجود دراسة مستقلة تناولت التمكّن الدلالي في الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، وما ندّعيه لهذه الدراسة من فروقات عن غيرها وما تضيفه علميا ما يأتي:

- تتفق الدراسة الحالية نسبيا مع الدراسات الرابعة والخامسة والسادسة موضوعا ومنهجا، فهي دراسات قامت بدراسة الفرائد من منظور لغوي بلاغي سياقي؛ لإثبات تفرّدها في سياقها، وأسباب هذا التفرّد، إلا أن الدراسة الحالية اتجهت لدراسة الفرائد الموضوعية، فقد جمعت الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق

الحديث عن القرآن الكريم من جوانب متعددة متعلقة به مما سيأتي تفصيلها لاحقا، وتصنيفها موضوعيا، ودراستها من منظور لغوي بياني سياقي، ثم الخروج بتصور سليم حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم ذاته.

فما تضيفه الدراسة الحالية هو أنها تدرس الفرائد القرآنية الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم من منظور لغوي بياني سياقي.

- الوصول إلى منهج علمي ينظّم دراسة المفردة القرآنية بأسس واضحة ومنهج متكامل، يجمع بين دراستها لغويا وبيانيا وبين سياقها الواردة فيه، فلا تُدرس المفردة القرآنية خارج سياقها، فالاستعمال القرآني أعطى المفردة القرآنية مجالا واسعا من الدلالات، وكل فريدة تستقل بمعنى خاص بها في سياقها، لا يصلح غيرها من مرادفاتها مكانها، فهذا المنهج وهذه الأسس تعين على معرفة ما يلائم اللفظ لما اختير له من دلالة في سياقه المحدد اللائق به، فتنتج عن ذلك معان فريدة للمفردة القرآنية وأسرار خفيّة دقيقة لها، لا تظهر إلا بالتأمل والتدبّر.

وهذا كله –على حدّ علم الباحث–مما لم يُتَناول بدراسة علمية مستقلة محكّمة.

منهج البحث

وللإجابة عن أسئلة الدراسة اقتضت طبيعة الدراسة تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع بين التحليل والوصف للفرائد القرآنية:

- **المنهج التحليلي**: في تحليل الفرائد القرآنية لغويا لبيان معناها.
- **المنهج الوصفي**: الذي يرصد ويصف مسوّغات التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن في التعبير القرآني؛ للتوصل إلى نتائج عملية فُسِّرت وَوُصفت بطريقة موضوعية دقيقة تنسجم مع المعطيات والبيانات الصحيحة للتمكّن الدلالي، بحيث نثبت تفرّد هذه الفرائد وتمكّنها من سياقها، وسرّ هذا التفرّد واللمحات الجمالية فيه، ومن ثم الخروج بتصور سليم ورؤية قرآنية حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم ذاته، وذلك بعد جمع العلائق بين هذه الفرائد.

كما تم اعتماد المنهج الوصفي في هذه الدراسة في التمهيد، والذي تضمّن تعريفا بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث، لبيان حدودها ومقصدها، إذ هي التي ستقوم عليها الدراسة، ويُعتمد عليها في بناء التصور القرآني لمحاور الدراسة من خلال الفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم.

حدود البحث

تناوَلْتُ في هذه الدراسة الفرائد الموضوعية الواردة في سياق الحديث عن القرآن الكريم، واقْتَصَرْتُ على ثمانية نماذج من الفرائد فقط صنّفتها ضمن خمسة مواضيع؛ قصدا إلى إثبات الفكرة ومراعاة للاختصار، والتزاما

بالضوابط المنهجية التي تحكم عدد صفحات البحث.

إجراءات البحث

١- جَمْع الفرائد التي تتّصل بالقرآن الكريم اتّصالا وثيقا إما بوصفه أو بالحديث عن جوانب تتعلق به، وتقسيمها إلى موضوعات فرعية، ودراسة الفرائد المتعلقة بكل موضوع فرعي على حِدَة.

٢- إيراد الآية الواردة فيها الفريدة القرآنية، ثم بيان مسوّغات التمكّن الدلالي للفريدة في سياقها.

٣- النظر في مرادفات الفريدة القرآنية والألفاظ التي تشترك معها في الحقل الدلالي والواردة في القرآن أو في كتب اللغة والتفسير، ثم عقد مقارنة بين الفريدة القرآنية ومرادفاتها؛ لاستنباط اللمحات الجمالية والأسرار البلاغية التي دعت إلى اختيار تلك الفريدة في سياقها دون مرادفاتها، وبيان العلل اللفظية والمعنوية في عدم ذكر هذه الفريدة في سياق آخر مشابه لسياقها الواردة فيه، وأثر ذلك كله على أداء المعنى المقصود بدقّة.

٤- جمع العلائق بين هذه الفرائد والنظر في العلاقات المعنوية الممكنة بينها؛ للخروج بتصور سليم ورؤية قرآنية حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم ذاته.

خطة البحث

وتحقيقا لغاية البحث وأهدافه، ومحاولة للإجابة عن إشكالياته

السابقة، فقد ارتأيت تقسيم البحث إلى مقدمة، وتمهيد، والدراسة التطبيقية، وخاتمة.

المقدمة: وقد تضمنت عرض موضوع البحث، وإشكاليته، وأسئلته، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجيّته، وهَيْكله.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث: التمكّن الدلالي، والفريدة.

الدراسة التطبيقية: مسوّغات التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة بشأن القرآن الكريم، وشملت ستة مباحث كالآتي:

المبحث الأول: إنزال القرآن في رمضان.

المبحث الثاني: الإعراض عن القرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تمثيل وتصوير حال المعرضين عن القرآن الكريم

المطلب الثاني: أسباب الإعراض عن القرآن الكريم

المبحث الثالث: عداوة المشركين للقرآن الكريم، واشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تأويلهم وتحريفاتهم للقرآن الكريم

المطلب الثاني: سطو المشركين بالتالين للقرآن الكريم

المبحث الرابع: محاجّة المنكرين والجاحدين من الكفار والمشركين.

المبحث الخامس: تكفّل الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه.

المبحث السادس: وجه العلاقة بين الفرائد القرآنية الواردة بشأن القرآن الكريم.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

أولا: الفرائد

لغة: الفرائد جمع فريد وفريدة، مأخوذة من (فرد) وهو أصل صحيح يدلّ على وُحْدة، والفريد: الدّرّ إذا نُظِم وفُصِل بَينَه بغَيرِه، وهو الذي لا مثيل له في جَوْدَته، والفَريدُ والفَرائدُ: الشّذْرُ من فضّة الذي يَفْصِل بين اللّؤْلؤ والذهب، وقيل الفَريدُ بغير هاء الجوهرة النفيسة كأَنّها مفردة في نوعِها، وذَهَبٌ مُفَرّد مفَصّل بالفريد، وهو الدرّ الذي يفصل بين الذهب في القلادة المفصّلة، فالدر فيها فريد والذهب مفرّد[(١)].

اصطلاحا: أول من أورد مصطلح الفرائد هو ابن أبي الإصبع المصري[(٢)] في كتابه (تحرير التحبير) تحت (باب الفرائد)، وقال في تعريفه:

(١) ينظر مادة (فرد) في: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، "مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون، (د. ط، د. م: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، ٤: ٥٠٠؛ وجمال الدين بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، ٣: ٣٣١.

(٢) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني المصري، شاعر من العلماء بالأدب، مولده بمصر، ووفاته فيها سنة ٦٥٤ هـ، له تصانيف حسنة مثل «بديع القرآن» و«تحرير التحبير» و«الخواطر السوانح في أسرار الفواتح» و«البرهان في إعجاز القرآن». ينظر: يوسف بن تغري بردي الأتابكي، "المنهل

"هذا باب مختص بالفصاحة دون البلاغة؛ لأن مفهومه إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حبّ العِقْد تدل على عظم فصاحته وقوة عارضته، وشدة عربيته، حتى إنّ هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعزّ على الفصحاء غرامتها (خسرانها وفقدانها من الكلام)"(١).

ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي للفرائد يتبيّن أن الفرائد هي كل شيء نفيس تفرّد دون أن يكون له نظير أو مثيل، وقد يكون هذا الشيء مادّيا كالذهب والياقوتة التي هي "فريدة العقد وعين القلادة ودرة الشذر"(٢)، أو معنويّا كاللفظ الفريد الذي يفصل بين الكلام.

وبهذا يرى الباحث أن الفرائد القرآنية هي: الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم مرة واحدة، ولم يتكرر جذرها اللغوي على أيّ

الصافي والمستوفى بعد الوافي". تحقيق محمد أمين، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م)، ٧: ٣٠٧؛ وابن العماد الحنبلي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ٥: ٢٦٥؛ والزركلي، "الأعلام"، ٤: ٣٠-٣١.

(١) ابن أبي الأصبع، "تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن". تحقيق حفني شرف، (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٣م)، ٥٧٦.

(٢) هذه الجملة مقتبسة من: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني، "إعجاز القرآن". (ط١، د. م: دار مكتبة الهلال، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ١٤٥.

صورة من صورها اللفظية[١].

وهنا يُلحَظ التناسب والارتباط بين المدلول العام للفرائد في القرآن الكريم–الذي يعني ورودها في القرآن الكريم دون أن تتكرر على أي صيغة من الصيغ–وبين ما ورد من معناها في المعاجم اللغوية، مما يدلّ على صحة تسمية هذه الألفاظ بالفرائد.

وأما الفرائد القرآنية الموضوعية التي ستتم دراستها في هذا البحث فيمكن تعريفها إجرائيا بأنها: الفرائد القرآنية التي وردت في سياق الحديث عن القرآن الكريم، فيتم جمعها والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة من منظور لغوي بلاغي سياقي، لبيان سرّ تفرّدها وإعجازها، وربطها برباط جامع ثم الخروج بتصور سليم حول حديث الفرائد القرآنية عن القرآن الكريم أو الخروج بنظرية قرآنية بصدد ذلك[٢].

(١) صُغْتُ تعريف الفرائد من خلال الرجوع إلى عدة مراجع منها: سرحان، "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية"، ١٣؛ وسارة العتيبي، "بلاغة الفرائد القرآنية"، ٢؛ وغافل، والحلفي، "التمكن الدّلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم"، ٢٠٢–٢٠٣.

(٢) صُغْتُ هذا التعريف بالربط بين دراسة الفرائد القرآنية موضوعيا من منظور لغوي بلاغي سياقي، وبين تعريف التفسير الموضوعي، بجامع الدراسة الموضوعية في كليهما، واستفدت في تعريف التفسير الموضوعي من: عبد الستار فتح الله، "المدخل إلى التفسير الموضوعي". (ط٢، القاهرة: دار

ثانيا: التمكّن الدلالي:

التمكّن لغة: من (مكن) بمعنى القدرة والاستطاعة والقوة والشدة والاستقرار، يقال (أمكنه) من الشيء جعل له عليه سلطانا وقدرة، ويقال فلان لا يمكنه النهوض لا يقدر عليه، وتمكّن عند الناس علا شأنه، وتمكن المكان وبه استقر فيه، وتمكّن من الشيء قدر عليه أو ظفر به[(١)].

التمكّن مرتبط بالأسلوب من حيث موضع البنية من النظم – إطار الجملة النحوية الواحدة–وحسن ملاءمة معناها لمعنى ما يجاورها من أبنية [(٢)]، يقول الجرجاني[(٣)]: "وهل قالوا: لفظةٌ متمكنة، ومقبولة،

التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١١هـ)، ٢٠.

(١) ينظر مادة (مكن) في: إسماعيل بن حماد الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية". تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م)، ٦: ٢٢٠٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ٤١٤؛ وإبراهيم أنيس وعبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله، "المعجم الوسيط". (ط٤، مجمع اللغة العربية–مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٤م)، ٨٨٢.

(٢) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني". تحقيق محمود شاكر، (ط٣، القاهرة: مطبعة المدني –جدة: دار المدني، ١٤١٣هـ–١٩٩٢م)، ص٤٤؛ ومحمد غافل، وشكيب غازي، "التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم"، ١٩٨.

(٣) عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول

وفي خلافه: قلقلة ونابية، ومستكرهة، إلا وغرَضُهم أن يعبّروا بالتمكّن عن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة معناهُما، وبالقلق والنُّبوِّ عن سوء التلاؤم، وأنّ الأُولى لم تَلِقْ بالثانية في معناها، وأن السابقة لم تصلح أن تكون لِفْقا [١] للتالية في مؤدّاها؟ "[٢].

والجرجاني بذلك ينفي وجود الفصاحة في مفردات معزولة، إذ يقول: "وهل تجد أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا وهو يعتبر مكانها من النظم

البلاغة، كان من أئمة اللغة. من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان ببلاد فارس، من كتبه "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز"، و"إعجاز القرآن"، و"الجمل" في النحو، و"المغني" في شرح الإيضاح، وغيرها، توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. ينظر ترجمته في: محمد بن شاكر الكتبي، "فوات الوفيات والذيل عليها". تحقيق إحسان عباس، (ط١، بيروت: دار صادر، ١٩٧٤م)، ٢: ٣٧٠؛ والزركلي، "الأعلام"، ٤: ٤٨.

(١) يقول ابن فارس: "اللام والفاء والقاف أُصَيلٌ يدلُّ على ملاءمة الأمر، يقال: لَفَقتُ الثّوبَ بالثَّوب لَفْقا، وهذا لِفْقُ هذا، أي يوائمه، وتَلافَقَ أمرهم: تلاءَم. ينظر مادة (لفق) في: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥: ٢٥٧. ويقول ابن منظور: لفقت الثوب ألفقه لفقا وهو أن تضم الشّقّة إلى الأخرى فتخيطهما، ولفق الشقتين: ضم إحداهما إلى الأخرى، ويطلق اسم "اللفقين"، على الصاحبين المتلازمين. ينظر مادة (لفق) في: لسان العرب، ابن منظور، ١٠/٣٣٠.

(٢) الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، ٤٥.

وحسن ملائمة معناها لمعنى جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها"[(١)]، وهو بذلك يشرح جوهر فكرة النظم، و"إنّ تمكّن المفردة في سياقها القرآني يرتبط بالعلاقات بين البنى المتوالية للنصّ بأكمله وفقا لقانون التناسب الذي يجب أن يكون واضحا في كل نصّ لغوي"[(٢)]، فاللفظة المفردة في رأي عبد القاهر علامة تدلّ على شيء أو فكرة ما، ولكنها لا تحدث معنى مفيدا إلا في بناء لغوي[(٣)]، و "لا نَظْمَ في الكَلِم ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضُها ببعضٍ، وَيْبني بعضُها على بَعض، وتُجعلَ هذه بسبب من تلك"[(٤)].

وأما التمكّن الدلالي للفرائد القرآنية من سياقها فيمكن تعريفه إجرائيا بأنه: مكانها من النظم، وتناسقها وحسن ملاءمة معناها لمعنى ما يجاورها داخل التركيب، ويرتبط تمكّن اللفظة بالعلاقات بين البنى المتوالية للنص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها الذي ترد فيه، وهذه العلاقات المتماسكة بين هذه العناصر مجتمعة تمكّن الفريدة دلاليا من التفرّد في سياقها بحيث تؤدي المعنى المسوقة من

(١) المصدر السابق، ٤٤.

(٢) محمد غافل، وشكيب الحلفي، "التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم"، ٢٠٠.

(٣) ينظر: وحيد الدين طاهر عبد العزيز، "مكونات النظرية اللغوية بين الدراسة والتطبيق". (د. ط، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠١٣م)، ٢٢.

(٤) الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، ٥٥.

أجله بدقة ولا تغني لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامة غناءَها[١].

الدراسة التطبيقية: مسوّغات التمكن الدلالي للفرائد القرآنية الواردة في سياق الحديث عن القرآن

المبحث الأول: إنزال القرآن الكريم في رمضان

احتوى هذا المبحث على فريدة واحدة وهي ﴿رَمَضَانَ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[٢].

أولا: الدلالة المعجمية

﴿رَمَضَانَ﴾ من (رمض)، وهو أصل مطّرد يدلّ على حدّة وشدّة في شيء من حرّ وغيره، والرّمَضُ: شدّة وقع الشمس على الرمل وغيره، والرّمْض: مطر يكون قَبْل الخريف فيَجد الأرض حارّة محْترقة، والرمضاء: الرمل الحار، ورَمِضَتْ قدمُه من الرَمْضاء، أي احترقتْ، ورَمَضُ الفِصال: أَن تحترق الرّمضاءُ وهو الرّمْلُ فتبرك الفصالُ من شدّة حَرّهَا وإحراقها أَخفافَها

(١) صُغْتُ هذا التعريف من خلال النظر في عدة مراجع، ومنها: الجرجاني، "دلائل الإعجاز في علم المعاني"، ٤٤؛ وطالب محمد إسماعيل الزوبعي، "من أساليب التعبير القرآني دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني"، (ط١، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٩٦م)، ٣٥٩؛ ومحمد غافل، وشكيب غازي، "التمكن الدلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم"، ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة آية: ١٨٥.

وفَراسنَها، ويقال: رمضْتُ اللّحمَ على الرّضْف إذا أنضجْتَه، وارْتَمَضَت كبده: فسدت، وارتمضْتُ لفلان: حَزِنْت له، والإرماض كلّ مَا أوجع[1].

تدور مادة (رمض) في المعاجم حول معنيين: شدة الحرّ، والحدّة والمكابدة والمشقّة والتوجّع وهي إما أن تكون مقترنة بالحرّ أو منفصلة عنه، وكلا المعنيين يرجعان إلى معنى الشدة والحدّة والمكابدة سواء أكانت تلك الشدة من حرّ أو غيره.

ثانيا: السياق الخاص

تتحدّث هذه الآية والتي قبلها بآيتين[2] عن فريضة الصيام التي فرضها الله تعالى على المؤمنين من أمة محمدﷺ كما فرضها على المؤمنين من أهل الملل قبل أمة محمدﷺ لعلنا نتقي الله تعالى، وأن الله تعالى اختار شهر رمضان لفريضة الصيام، وقد ابتدأ فيه نزول القرآن على النبيﷺ في ليلة القدر، أو أنزل فيه جملةً إلى السماء الدنيا ثم نزل مُنَجّما إلى الأرض حسبما تقتضيه المشيئةُ الربانية، أنزله الله هداية للناس، فيه الدلائل

(١) ينظر مادة (رمض) في: الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، ٣: ١٠٨١؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٧: ١٦٠-١٦١؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٤٤٠.

(٢) وهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤﴾ البقرة: ١٨٣ – ١٨٤.

الواضحات من الهدى، والفرقان بين الحق والباطل[١].

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿رَمَضَانَ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

– استعمال العَلَم (رمضان) للتعبير عن شهر الصيام: فبما أنّ لفظ (رَمَضَانَ) أصبح خاصا بالشّهر المعروف ولا ينصرف إلى شهر آخر، فقد جُعلَ الاسم (رمضان) عَلَمًا على شهر الصيام، والتعبير عن هذا الشهر بالعَلَميّة أرسخ في التعريف بالمسمّى (شهر الصيام) من أي اسم آخر لشهر الصيام كشهر الله أو ناتق[٢]؛ لأن العَلَم الأصلي (رمضان) أدخل في تعريف المسمى (شهر الصيام) من العَلَم بالغلبة (أسماء شهر الصيام الأخرى)[٣]، وهو يعطي معنى

(١) ينظر: أبو السعود محمد بن مصطفى العمادي، "تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". (ط١، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م)، ١: ٢٤٢؛ وجماعة من علماء التفسير، "المختصر في تفسير القرآن الكريم". (ط٣، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦هـ)، ٢٨= =ويُنظر الخلاف في معنى قوله تعالى: ﴿أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وكيفية الجمع بين نزول القرآن في ليلة القدر وبين نزوله في ثلاث وعشرين سنة، في كتب علوم القرآن، فليس المقام مقام تفصيل ذلك.

(٢) سيأتي قريبا بيان أسماء شهر الصيام.

(٣) استفدت فكرة (التعبير بالعَلَمية وكون التعبير بالعَلَم الأصلي أرسخ وأدخل في التعريف بالمسمّى من العَلَم بالغلبة) من: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"،

الاستقلال والخصوصيّة لهذا الشهر، وقد مُيّز عن باقي الشهور بذكر فضله وشرفه واسمه، ولم يُذكر شهر غيره باسمه في القرآن الكريم؛ لزيادة تمكّنه واستقراره وإحضاره في ذهن السامع باسمه المعروف المشهور عند السامع، وما ذلك إلا لتعظيمه والاهتمام به وتمييزه عن باقي الشهور، فكأن هذا الشهر قد تفرّد في عظمته وشرفه وفضله.

- أمّا كلمة "رمضان" وعلة اشتقاقها فقد اختلف اللغويون فيها وفى أصلها، واجتهد المفسّرون في محاولة إيجاد الصلة بين (رمضان) بمعانيه اللغوية المختلفة وبين الصيام، كما يأتي:

قيل في معنى الرّمْض: إنه من رَمْض النصل بمعنى جَعْله بين حجرين أمْلَسَيْن ودقّه ليرقّ، يقول ابن السكّيت [(١)]: "والرمض مصدر رَمضْتُ النّصلَ أَرمِض رَمضًا: إذا جَعلتَه بين حَجَرَيْن ودَقَقْته لِيَرقّ"[(٢)]،

١٤: ٩.

(١) يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت: إمام في اللغة والأدب، أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد، واتصل بالمتوكل العباسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، من كتبه: "إصلاح المنطق"، و"الألفاظ"، و" الأضداد"، و" القلب والإبدال"، وغيرها و" غريب القرآن"، توفي سنة ٢٤٤هـ. ينظر ترجمته في: ابن العماد الحنبلي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، ٢: ١٠٦؛ والزركلي، "الأعلام"، ٨: ١٩٥.

(٢) ابن السكيت، "إصلاح المنطق". تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام

والصلة بين هذا المعنى وبين حال الصائم في رمضان: أنه كما يرقّ النصل إذا جَعلتَه بين حَجَرَيْن ودَقَقْتَه، فكذلك يرقّ حال الصائم الذي يكابد العطش والجوع بعدما تضمر بطنه لامتناعه عن الطعام والشراب، وعندها يرقّ قلبه ويزداد إيمانه، وتتحقق العلة من الصيام وهي التقوى.

والرّمَضُ يعني كذلك شدَّةُ وَقْع الشمسِ على الرَّمْلِ وغيرِه، وحرق ذنوب الصائم، يقول الفيروزآبادي: "الرَّمَضُ، محركةً: شِدَّةُ وَقْعِ الشمسِ على الرَّمْلِ وغيرِه، ورَمِضَ يَرْمُنا، كفرِحَ: اشْتَدَّ حَرُّه، ورمضت قَدَمُه: احْتَرَقَتْ من الرَّمْضَاءِ، للأرضِ الشديدةِ الحَرارةِ... ورمضَ الصائمُ: اشْتَدَّ حَرُّ جَوْفِه، أو لأَنَّهُ يَحْرِقُ الذُّنوبَ"[(١)]، يقول البغوي: "والصحيح أنه – أي رمضان–اسم للشهر سمي به من الرَّمْضَاءِ وهي الحجارة المِحْمَاةُ وهم كانوا يصومونه في الحر الشديد فكانت تُرَمَّضُ فيه الحِجَارَةُ في الحرارة"[(٢)]، والصلة بين هذا المعاني وبين شهر رمضان من أوجه:

محمد هارون، (ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩م)، ٧٤، وينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط". تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد العرقسُوسي، (ط٨، بيروت–لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ)، ١: ٦٤٤.

(١) الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، ١: ٦٤٤.

(٢) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تفسير البغوي "معالم التنزيل". تحقيقه محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، (ط٤،

الأول: إنه كما يشتدّ حرّ الرمل والحجارة من شدّة حرّ الشمس، فكذلك يرتمض الصائم في هذا الشهر من حرّ الجوع ومقاساة شدّته، ويحرّ جوفه ومعدته من شدة العطش[(١)]، فهو شَهرُ بلاءٍ وتعب ومَشقّة، ولعلّ في ذلك تذكيرا للصائمين بما يقاسيه أهل النار فيها، وما يكونون فيه من العطش[(٢)].

الثاني: إنه كما يشتدّ حرّ الرمل والحجارة وقد تحترق من شدّة حرّ الشمس، فكذلك ترتمض الذنوب في هذا الشهر، أي تُحرق وتُذاب وتُزال لما يقع فيه من العبادة[(٣)]، أو بسبب تنزّل رحمات الله على عباده

الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م)، ١: ١٩٨.

(١) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٥: ٧١؛ ومحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح شمس الدين القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق سمير البخاري، (د. ط، الرياض: دار عالم الكتب، ٢٠٠٣م)، ٢: ٢٩٠.

(٢) ينظر: محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المديني، "المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث". تحقيق عبد الكريم العزباوي، (ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، جدة: دار المدني، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م)، ١: ٨٠٣.

(٣) ينظر: أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ١: ٢٤٢؛ وزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، "فيض القدير شرح الجامع الصغير". (ط١، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، ٣: ٣، ويُروى «إنما سُمّيَ رَمَضانَ لأنهُ يَرْمِضُ الذُّنوبَ» ونحو ذلك، وهو موضوع: ينظر: محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الألباني، "سلسلة

الصائمين، فقد قال رسول اللَّه ﷺ: "إذا كان رَمَضَانُ فُتّحَتْ أَبوابُ الرّحمَةِ وَغُلّقت أبوابُ جهنّم وَسُلْسلت الشّيَاطين"[(١)]، وقيل: "سمي به لأنه يرمض الذنوب بحرارة القلوب"[(٢)]، بمعنى أن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة فتعمل الأعمال الصالحة، كما يأخذ الرمل والحجارة من حرّ الشمس فيشتد حرّها[(٣)].

ويرى بعض أهل اللغة أن سبب تسمية هذا الشهر بهذا الاسم أَنَّهم لَمَّا نَقَلُوا أَسْماءَ الشُّهورِ عن لغة العرب العاربة، سَمَّوها بالأَزْمنة التي وَقَعَتْ فيها، فاتفق أنهم حينما أرادوا تغيير اسم "ناتق"–وهو اسم شهر رمضان عند العرب العاربة–كان الحر والرمض في أشده، فسموه رمضان يقول الجوهري صاحب الصحاح: "يقال: إنَّهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سمَّوها بالأزمنة التي وقعتْ فيها، فوافق هذا

الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة". (ط١، الرياض: دار المعارف، ١٤١٢هـ –١٩٩٢م)، حديث رقم ٣٢٢٣، ٧: ٢٠٩.

(١) مسلم بن الحجاج، "صحيح مسلم". تحقيق أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي، (ط١، د. م: دار طيبة، ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م)، حديث رقم (١٠٧٩)، ٤٨١.

(٢) محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني، "شرح سنن أبي داود". تحقيق خالد بن إبراهيم المصري، (ط١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٠ هـ –١٩٩٩م)، ٥: ٢٧٣.

(٣) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ٢: ٢٩١.

الشهر أيام رَمْضِ الحرِّ، فسمِّي بذلك" [(١)]، وأكّد على ذلك الماوردي، حيث ذكر أن اسم رمضان في الجاهلية "ناتق"[(٢)].

بيّن القسطلاني[(٣)] أن لشهر رمضان أسماء عديدة، فقال: "وقال القاضي أبو الطيب: ...وله أسماء غير هذا أنهوْها إلى ستين، منها شهر الله، وشهر الآلاء، وشهر القرآن، وشهر النجاة"[(٤)]، ومن أسمائه كذلك

(١) ينظر: الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، ٣: ١٠٨١؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٤٤٠، مادة (رمض)؛ وأحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، "الأزمنة والأمكنة". تحقيق خليل المنصور، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ١٤٧.

(٢) ينظر: أبو الحسن علي بن محمد، الشهير بالماوردي، " النكت والعيون (تفسير الماوردي)". تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (د. ط، بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية، د. ت)، ١: ٢٣٩.

(٣) أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين، من علماء الحديث، مولده ووفاته في القاهرة، له: "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"، و"المواهب اللدنية في المنح المحمدية في السيرة النبوية، و"لطائف الإشارات في علم القراءات"، و"الكنز" في التجويد، وغيرها، توفي ٩٢٣هـ. ينظر ترجمته في: في: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع". (د. ط، بيروت: المعرفة، د. ت) ١: ١٠٢؛ والزركلي، "الأعلام"، ١: ٢٣٢.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)، ٣: ٣٤٩.

شهر الصيام، وشهر الصبر، وشهر العتق، وشهر التمحيص، وشهر الرحمة، وشهر التوبة، وشهر المغفرة، وناتق وغيرها.

وأما وجه التمكّن الدلالي في اصطفاء الفريدة (رمضان) في سياقها دون غيرها من أسماء شهر الصيام: فهو علاقة الدلالة المعجمية للفريدة رمضان ومناسبة معناها الدال على شدة الحرّ، والحدّة والمكابدة والمشقّة والتوجّع لسياقها الخاص، فهو يتحدّث عن ثلاثة عناصر رئيسة: فرضية الصيام، والعلة من الصيام وهي التقوى، وعلة اختيار شهر رمضان لفريضة الصيام ففيه أنزل القرآن، وليست في أسماء شهر الصيام السابقة الذكر ما يعطي معنى الاستقلال لهذا الشهر وخصوصيّته وسماته ومقوماته وشدّته ومشقّته على الصائم وأوجهه الإيمانية وأثره في الصائم وفي حرقه لذنوبه وتحقيق العلة من الصيام وهي التقوى التي تحدّثنا عنها سابقا، والتي أَضفت طابعا خاصا لهذا الشهر وميّزته عن بقية الأشهر، ولذا فقد مُيّز الشهر بذكر الفريدة (رمضان) ليتقرّر ويتمكّن ويستقرّ معناه في ذهن السامع، ويتحقّق المعنى والغرض المقصود من صيام شهر رمضان.

كما أن الفريدة (رمضان) هي اللفظ الأنسب في بيان معنى الصيام شرعا وبيان فضله وما يترتّب عليه من عظيم الأجر ومغفرة الذنوب، وكسر ثوران الشهوة وتهذيبها –لمشقته على الصائم–عند من

لا يستطيع الزواج من الشباب[1]، ذلك أن الفريدة (رمضان) –كما أسلفنا–تدلّ على معنى الحبس–والصيام حبس عن الطعام والشراب والشهوة–وعلى معنى حرق الذنوب، كما تدل على المشقة والشدّة التي يعقبها الرخاوة والفرح عند فطر الصائم.

فرمضان بذلك يربّي البدن ويربي النفس، إذن فالصيام هو منهج لتربية الإنسان، وهو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، والقرآن إنما جاء منهج هداية للعبد، فناسب أن يوجد التشريع في تربية البدن وتربية القيم مع الزمن الذي جاء فيه القرآن بالقيم، وبذلك تكون الفريدة (رمضان) هي اللفظ الأنسب لتحقيق منهج التربية الذي جاء به القرآن الكريم.

كذلك فإن الدلالة المعجمية للفريدة (رمضان) على المشقة والشدّة تتناسب مع ثقل وشدّة ما أُنزل فيه (وهو القرآن) فالنبي ﷺ كان يلقى ما يلقاه من الشدّة عند نزول القرآن عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ المزمل: ٥، كما أنَ ما أُنزل تكاليفٌ ثقيلة شاقة على المكلّفين يحتاج حملها والعمل بها إلى مشقة.

وفي ضوء ذلك كله يتبين تمكّن الفريدة (رمضان) دلاليا من

(١) فعن ابن مسعودرضي الله عنه أن النبيﷺ قال: (يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فليتزوّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصّومِ فَإِنّه لَه وجَاء)، ينظر: البخاري، "صحيح البخاري"، حديث رقم ٥٠٦٥، ٧: ٣؛ ومسلم، "صحيح مسلم"، حديث رقم ٣٣٨١، ٤: ١٢٨.

سياقها، وما جعلها كذلك هو المناسبات والعلاقات القوية التي تربط بين دلالات الفريدة المعجمية مع سياقها الخاص؛ مما نشأ عنه تناسق رفيع سوّغ تمكّن الفريدة (رمضان) في موضعها دون غيرها، وتعطي الفريدة (رمضان) بذلك للنص ميّزة دلالية تدعو المتلقّي للتمعّن في شهر رمضان وفضله ووجوب اغتنام أيامه ولياليه.

المبحث الثاني: الإعراض عن القرآن الكريم.

المطلب الأول: تمثيل وتصوير حال المعرضين عن القرآن الكريم.

وقد وردت في هذا الموضوع فرائد ثلاث، وهي: ﴿يَنۡعِقُ﴾ [البقرة: ١٧١]، و﴿عِطۡفِهِۦ﴾ [الحج: ٩]، و﴿قَسۡوَرَةٖ﴾ [المدثر: ٥١]، وسأكتفي بعرض نموذج واحد وهو الفريدة ﴿يَنۡعِقُ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

أولا: الدلالة المعجمية

النّعْق: مصدر نَعَقَ ينعِق نَعْقا ونَعيقا، وهو صياح الراعي بالغنم وزجره إياها، والنعيق: دعاء الراعي الشاء، وهي كلمة تدلّ على صَوت، ونعق: نادى، دعا، سمى[(١)]، ومن معاني (النعيق) التي أضافها

(١) ينظر مادة (نعق) في: محمد بن الحسن بن دريد، "جمهرة اللغة". تحقيق رمزي

الآلوسي: "التتابع في التصويت على البهائم للزّجر"[1].

ثانيا: السياق الخاص

تتحدّث هذه الآية والتي قبلها[2] عن الكفّار المعرضين عن القرآن والهدى، فقد حكى الله تعالى عن الكفار أنهم عند دعائهم إلى اتّباع ما أنزل اللّه تركوا النظر والتدبّر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا معاندين: بل نتّبع ما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والتقاليد، وبعدها ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم أنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيّرهم من هذا الوجه بمنزلة الأنعام، فمثل الذين كفروا في اتباعهم لآبائهم كالراعي الذي يصيح مناديا على بهائمه، فلا تسمع إلا جرس النغمة ودويّ صوته ولا تفهم قوله، وضَرْبُ هذا المثل كناية عن عدم استجابة الكفار لما أنزل الله تعالى[3].

منير بعلبكي، (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م)، ٢: ٩٤٣؛ والجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية" ٢: ٢١٨؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٠: ٣٥٦.

(١) الآلوسي، "روح المعاني"، ١: ٤٣٩.

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠.

(٣) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٥: ١٨٩؛ وشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

تشمل الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ دلالات توحي بذم التقليد، وتزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، وتطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وهذا ما جعلها الأفضل ملاءمة للسياق، بالإضافة إلى الأسرار البلاغية الناشئة عن ذلك، وذلك كما يأتي:

-تشير الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ بالإضافة إلى سياقها الواردة فيه إلى قاعدة هامة، وهي أنه لا بدّ من اكتمال الحواس (السمع والبصر العقل) عند المدعو ليصل إلى الفهم والإدراك لما يُدعى إليه، فالكفار لم يعقلوا ولم يستجيبوا لما أنزل الله تعالى من الهدى والنور، فهم "كالصمّ لا يسمعون الحقّ سماع تدبر وفهم، وكالبكم الذين لا يستجيبون لما دعوا إليه، وكالعمي في الإعراض عن الأدلة حتى كأنهم لم يشاهدوها، ولذلك لم يصلوا إلى الحقّ؛ لأن اكتسابه إنما يكون بالنظر والاستدلال وأنّى لمن فقد هذه الحواس أن يصل إلى الحق ويقبله؟"[(١)].

-تشير الفريدة ومن خلال معناها المعجمي السابق عرضه إلى

عبد الباري عطية، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ)، ١: ٤٣٩؛ وجماعة من علماء التفسير، "المختصر في تفسير القرآن الكريم"، ٢٦.

(١) أحمد مصطفى المراغي، "تفسير المراغي". (ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م)، ٤٥:٢-٤٦.

أن الكفار لم يستجيبوا لدعوة النبيﷺ فبالرغم من الصوت العالي المتتابع من الراعي على غنمه؛ ليسوقها إلى المرعى، ويدعوها إلى الماء، ويزجرها عن الحمى، فتستجيب دعوته وتنزجر بزجره، ولكنها لا تعقل مما يقول شيئا، وكذلك حال الكفار، فبالرغم من تتابع دعوة النبيﷺ لهم للإيمان بالقرآن الكريم ووجود ما يهيّجهم ويستثيرهم لقبول دعوته من المعجزات الدالة على صدقه، إلا أن الكفار لا يفهمون منهﷺ إلا كما تفهم البهائم من دويّ الصوت.

–نستدل من المعنى المعجمي للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ أنها تحوي – بالإضافة إلى معنى الصياح بصوت عالٍ وبتتابع–معنى الزّجر، فالراعي يرفع صوته بالنعيق ليسوقها إلى المرعى، ويدعوها إلى الماء، ويزجرها عن الحمى، فالنعيق فيه متابعة وتقويم لمسير المنعوق به للوصول إلى الغاية وهي المرعى والماء، وهذا يجعل من الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ ذات دلالات دعوية كثيرة، منها تسلية وتعزية للنبي ﷺ والدعاة مِن بَعدِه عند عدم استجابة المدعوين لدعوتهم، فهدف الدعاة ينبغي أن يكون تقويم المدعوّين والصبر عليهم حتى لو لم يعقلوا ويعرفوا الحقّ، والصورة المنفّرة التي ترسمها الفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ ستبقى متجددة مستمرة وذلك في كل زمان ومكان لكل من تسوّل له نفسه التعامي عن الحق، وهذا ما توحيه صيغة المضارع للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ الدالة على استمرار التجدد.

–إنّ اصطفاء القرآن للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ في هذا السياق الذي يذمّ فيه التقليد بلا فهم ولا عقل ولا إدراك، متمكّن من دلالتها المرادة في

أن الكفار لم يصلوا إلى معرفة الحقّ ولم يستجيبوا لما دُعُوا إليه، وعليه فالسياق يقتضي استعمال الفريدة ﴿ يَنْعِقُ ﴾ دون مرادفاتها من مثل (ينادي، أو يصيح، أو يصوّت، أو يدعو)، فهي لا تغني غناء الفريدة ﴿ يَنْعِقُ ﴾ ولا تعادل (النّعْق) في دلالاتها الخاصة التي ذُكرت سابقا على الصياح والدعاء والنداء بصوت عال وبتتابع للتهييج والزّجر والاستجابة لدعوة الناعق دون فهم ما يُقال لها.

فالنِّدَاءُ: رفْعُ الصَّوت وظُهُورُهُ، وقد يقال ذلك للصَّوْت المجرَّد، وإيّاه قَصَدَ بقوله:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البقرة: ١٧١]، أي: لا يعرف إلّا الصَّوْت المجرَّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبُ الكلام، ويقال للمركَّب الذي يُفْهَم منه المعنى ذلك، قال تعالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠].

وَالدُّعَاء يكون بِرَفْع الصَّوْت وخفضه يُقَال دَعوته من بعيد ودعوت الله فِي نَفسِي، والصياح رفع الصَّوْت بِمَا لَا معنى لَهُ ولا يكون إلا لحيوان، وأما الصَّوْت فهو عَام فِي كل شَيْء، تَقول: صَوت الْحجر وَصَوت البَاب وَصَوت الإنسان [(١)].

(١) ينظر: أبو هلال العسكري، "الفروق اللغوية"، ٣٨؛ والراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ٧٩٦؛ وأبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، (د. ط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ –

وعلى هذا فالنداء أو التصويت أو الدعاء أو الصياح قد تكون بصوت عالٍ ظاهر كالنعيق، ولكنها تخلو من الدلالات الخاصة الأخرى للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾والتي ذكرت سابقا، كما قد يعقل ويفهم المنادَى والمدعو ما يُقال له، وقد لا يعرف إلّا الصَّوْت المجرَّد دون المعنى الذي يقتضيه تركيبُ الكلام، بخلاف المنعوق به الذي لا يعقل ما يُلقى عليه، وجاء قوله تعالى ليؤكِّد هذه الدلالة الخاصة للفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ حيث ذكر المنعوق به بلازم من لوازمه، فقال تعالى: ﴿بِمَالَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾[1]، وما لا يسمع أي لا يدرك بالاستماع إلا دعاء ونداء، كما أن الدعاء للقريب والنداء للبعيد، والفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ تجمع بين القرب والبعد، والكفار كانت دعوتهم من قريب ومن بعيد وبجميع الوسائل، والفريدة ﴿يَنْعِقُ﴾ تحتمل القرب والبعد، ولكنها تنفرد بعدم الفهم لما يُدعى إليه المنعوق به.

-دلّت الفريدة ﴿ يَنْعِقُ ﴾ مع سياقها الواردة فيه على الإيجاز بأسلوب الاحتباك[2]؛ وقد اتبعت الآية السابقة أسلوب الاحتباك

١٩٩٨م)، ١٤٦٦.

(١) سورة البقرة آية: ١٧١.

(٢) الاحتباك: "أن يؤتى بكلامين في النص في كل منهما متضادان، أو متشابهان، أو متناظران، أو منفيان، أو يشترك نوعان منهما في نص واحد، فيحذف من أحد الكلامين كلمة، أو جملة إيجازا ويأتي ما يدل على المحذوف في الثاني، ويحذف من الثاني كلمة أو جملة أيضا قد أتى ما يدل

لإصلاح الفكر والارتقاء بالعقل والتنفير من التقليد الأعمى، ففي الآية حذفان: حذف من الأول وهو (داعيهم وهو محمد ﷺ) وقد أثبت نظيره في الثاني وهو (الذي ينعق)، وحذف من الثاني (المنعوق به وهو الغنم) وقد أثبت نظيره في الأول (وهو الذين كفروا)، فيكون التقدير: مثلك يا محمد ﷺ ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به[(١)]، وقد حذف اسم الرسول ﷺ من الأول لدلالة الذي ينعق عليه في الثاني، وحذف المنعوق به من الثاني لدلالة (الذين كفروا) عليه في الأول.

وقد كان للمحذوف في الطرفين أثر في المعنى، ففي حذف الأول وهو اسم الرسول أو ما يدل عليه رفع لشأنه، حتى لا يُقرَن بالذي ينعق بما لا يسمع، وأما المنعوق به (الغنم) فلم يصرّح به بل ذكره بلازم من لوازمه ﴿ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾؛ احتقارا وحطّا من شأنهم[(٢)].

عليها في الأول، فيكون باقي كلّ منهما دليلا على ما حذف من الآخر، ويكمل كل جزء الجزء الآخر ويتمّمه ويفيده من غير إخلال في النظم ولا تكلف"، ينظر: بدر الدين محمد الزركشي، "البرهان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م)، ٣: ١٢٩.

(١) ينظر: أبو حيان الأندلسي، "تفسير البحر المحيط"، ٢: ١٠٦.

(٢) ينظر: أحمد عبد الله البيلي البدوي، "من بلاغة القرآن". (د. ط، القاهرة: دار نهضة، ٢٠٠٥م)، ٩٩.

إنّ استخدام أسلوب الاحتباك من خلال المحذوف في طرفي الآية غايته أخْذُ العبرة والعظة للقارئ وللسامع لهذا المثل الذي جعل فيه الكافر كالبهيمة، بهذا الأسلوب الذي ينفذ إلى عقله وقلبه وفكره، ويمسّ سرائر نفسه، "فيكون في ذلك نهاية الزجر والردع لمن يسمعه عن أن يسلك مثل طريقه في التقليد"[(١)]، فيصلح عقيدته بالتوحيد، ولا يسلك سبيل الكفار، وإلا صار كالبهيمة التي لا تعقل.

المطلب الثاني: أسباب الإعراض عن القرآن الكريم

وقد وردت فيه فريدتان، وهي: ﴿رَانَ﴾، و﴿أَقْفَالُهَآ﴾، وردت الفريدة ﴿رَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ووردت الفريدة ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]، وسأتناول الفريدتين معا؛ كونهما من الموانع التي تحجب القلب عن القرآن الكريم والإيمان.

أولا: دلالة الفريدتين المعجمية

- **دلالة الفريدة ﴿رَانَ﴾ المعجمية**

الرَيْن: أصل يدلّ على غطاء وسَتْر، ورانَت الخمرُ على قلبه: غَلَبَتْه، ومن الباب: رانَتْ نفسي تَرِين، أي خَبُثَتْ وغَثَتْ، والرين: الطّبَعُ والدّنَسُ، يقال: رانَ على قلبه ذَنبُهُ أي غطّاه، وهو الذَنْب على

(١) الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٥: ١٨٩.

الذنب حتّى يسْوَدّ القلب، وهذا من الغلبة عليه، وأَرانَ القوم، هَلَكَتْ مَوَاشيهم أو هُزِلَتْ من شِدّة أصَابَتْهم لأن ذلك مما غلبهم، والرون الشدة، ورونة الشيء شدته ومعظمه وغايته في حر أو برد أو حرب أو حزن أو غم أو شبهه، والران: الغطاء والحجاب الكثيف والصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرآة ونحوهما وما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب[1].

- **دلالة الفريدة ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ المعجمية**

قفل: أصل صحيح يدلّ أحدهما على أوبةٍ (رجوع) من سفر، والآخر على صَلاَبةٍ وشدّة في شيء، فالأوّل القُفول، وهو الرّجوع من السّفَر، وأمَّا الأصل الآخر فالقَفِيل، وهو الخشب اليابس، ويقال: قفل النبات، وقفل الفجل، وذلك إذا اشتد هياجه فيبس وهزل، والقَفِيْلُ: الشّعْب الضيّق كأنّه دَرْب مُقْفَل (مُغْلق) لا يمكن فيه العَدْوُ، ومكان غَليظ، والمِقْتَفِلُ من الناس: الذي لا يَخْرُجُ من يَدَيْه خَيْرٌ، ومنه القُفْل: سمّي بذلك لأنّ فيه شدّا وشِدّة[2].

(١) ينظر مادة (رين) في: ابن دريد، "جمهرة اللغة"، ١: ٤٤٩؛ والجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، ١: ٢٨١؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٤٧٠؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ١٩٢.

(٢) ينظر مادة (قفل) في: إسماعيل بن عباد الصاحب، "المحيط في اللغة". تحقيق محمد آل ياسين، (ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م)، ٥:

تفرّدت هاتان اللفظتان في السياق السابق لكل منهما –والذي يتحدّث عن الموانع التي تحجب القلب عن القرآن–مع وجود مواضع أخرى مشابهة لهذين السياقيْن تتحدّث أيضا عن الموانع التي تحجب القلب عن القرآن وقد استعملها القرآن من مثل: (الختم، والطبع)، وحتى يتسنّى لنا تفسير الخاصيةّ الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال كل مانع من المانعيْن الفريدين ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ في سياقهما دون غيرهما من الموانع، كان لا بدّ من معرفة مفهوم هذه الموانع، وربطها بسياقها الواردة فيه.

ثانيا: دلالة الفريدتين ﴿ رَانَ ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ السياقية

• دلالة الفريدة ﴿رَانَ﴾ السياقية

وردت هذه الفريدة في سياق الحديث[1]عن الفجار الذين قالوا بأن القرآن الكريم أساطير الأولين وأقاصيص الأمم الأولى وليست كلام الله تعالى، بأسلوب الزجر والتهديد بالويل، ثم بيان الأسباب التي

٤٢٧؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٥: ١١٢؛ وابن منظور، "لسان العرب"،١١: ٥٦٠؛ وأحمد بن يوسف المعروف السمين الحلبي، "عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ". تحقيق محمد باسل عيون السود، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ)، ٣: ٣٢٨.

(١) وهي الآيات: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ المطففين: ٧ –١٣.

حجبت عنهم رؤية الحقّ ودعتهم إلى مِثل هذا القول الباطل[١].

- **دلالة الفريدة ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾ السياقية**

وردت هذه الفريدة في سياق الحديث[٢] عن المعرضين من المنافقين الذين يفسدون في الأرض بسفك الدماء الحرام، والبغي والظلم، ويقطعون أرحامهم، فهؤلاء المعرضون أبعدهم الله عن رحمته، وأصمّ آذانهم عن سماع الحق سماع قَبول وإذعان، وأعمى أبصارهم عن إبصاره إبصار اعتبار، ثم بيّنت الآيات لهؤلاء المعرِضين أنهم لو تدبّروا القرآنَ وتأمّلوا ما فيه لدلّهم على كل خير، وأبعدهم عن كل شرّ، ولكن على قلوبِ هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى[٣].

ثالثا: سرّ اختيار الفريدتين ﴿ رَانَ ﴾ و ﴿أَقۡفَالُهَآ ﴾ في سياقهما

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ٨: ٣٥٩، وجماعة من علماء التفسير، "المختصر في تفسير القرآن الكريم"، ٥٨٨.

(٢) وهي الآيات: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ٢٣ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ محمد: ٢٢ – ٢٤.

(٣) ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ)، ٢٦: ١١٩؛ والمختصر في تفسير القرآن الكريم، ٥٠٩.

وأسرارهما البلاغية:

- بيّن سياق الفريدتين ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ الموانع التي حجبت الكفار والمنافقين عن أن يبصروا الحقّ بقلوبهم، وبيّن المولى سبحانه وتعالى أن سبب ذلك راجع إلى غفلة المكذبين وتطَاولهم بالكبْرِ والمعَاصي، و"غَلَبَتْ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْمَعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا"[(١)]، حتى مَرَنوا عليها، وجاوزوا الحدّ وبلغوا الغاية في المعصية، فانطمست قلوبهم عن الحقّ وأظلمت، فحينئذ يرين على القلب غطاء وحجاب ثقيل كثيف غليظ يمنع النور والإيمان والقرآن عن الوصول إلى هذا القلب، فَخَبُث وغثا وتدنّس وضعُف وعَلَتْه شدّة وقسوة حتى فقد الإحساس وتبلّد وربّما مات قلبه، كما قال ابن القيم –رحمه الله تعالى–: "موتا لا يرتجَى معه حياة ينتفع بها، بل حياته حياة يدرك بها الألم فقط"[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– في حديثه عن آثار المعاصي على القلب: "يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير رانا، ثم يغلب حتى يصير طبعا وقفلا وختما، فيصير القلب في غشاوة وغلاف، فإذا حصل له ذلك بعد الهدى والبصيرة انعكس

(١) البغوي، "معالم التنزيل"، ٨: ٣٦٥.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء". (ط١، المغرب: دار المعرفة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م)، ٩٠.

فصار أعلاه أسفله، فحينئذ يتولاه عدوه ويسوقه حيث أراد"[(١)]، ويقول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة ﷺ موضّحا مفهوم الرّان: "إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتَتْ في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقِلَ (جلا) قَلْبُهُ، وإنْ عاد زِيدَ فيها حتّى تَعْلُوَ قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾"[(٢)].

– نستدل من المعنى المعجمي للفريدتين ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ أنه لا يغني غناءهما في سياقهما غيرُهما من الألفاظُ القريبة من دلالتهما من مثل (الختم والطبع) وإن اشتركت جميعها بكونها من الموانع التي تحجب القلب عن الإيمان، وتحمل طابع الإغلاق الفكري عن الحقّ والإعراض عنه، لكنها تفترق في نسبة المنع ومدى ثبوته ولزومه.

وحتى يتسنّى تفسير الخاصيةّ الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال الفريدتين ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ في سياقهما دون غيرهما من مرادفاتهما،

(١) المرجع السابق، ٦٠.

(٢) محمد بن عيسى الترمذي، "الجامع الصحيح سنن الترمذي". تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، (ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)، رقم ٣٣٣٤، ٥: ٤٣٤، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: حسن، انظر حديث رقم: ٢٥٥٠ في: محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)". (ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م)، ١: ٣٤٢.

كان لا بدّ من بيان الفرق بين مفهوم الران والختم والطبع والقفل، وحتى يظهر الفرق بينها كان لا بدّ من تقسيم مراحل إغلاقهم الفكري عن الحقّ والإعراض عنه إلى مراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: الإغلاق الفكري المؤقت الجزئي للمنافذ المؤدّية إلى الإيمان:

وتمثّل هذه المرحلة الفريدة ﴿رَانَ﴾ وقد تقدّم بيان مفهومها الذي يدل على حجاب غليظ كثيف ثقيل، لكنه ليس بالسميك الذي يمنع الرؤية، فالعبد كما قال مجاهد رحمه الله تعالى: "يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى القلب"[(١)]، بمعنى أن الذنوب تحيط بالقلب فإذا تتابعت[(٢)] ارتفعت حتى تغشى وتشمل القلب كله وتغطيه بحجاب كثيف ثقيل غليظ (الران)، فيثقل القلب من الذنوب، ويُحجَب عن القيام بوظيفته وهي إدراك الحقّ، فلا ينفذ الإيمان إلى قلبه، ولا يدخله فَهْم القرآن، ولكن هذا الرّان لا يعني عدم نفوذ الإيمان إلى القلب نهائيا، فهو إغلاق مؤقت جزئي للمنافذ المؤدّية إلى الإيمان،

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط١، د. م: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م)، ٢٤: ٢٨٧.

(٢) يقول ابن عاشور: " ومجيء يكسبون بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرر ذلك الكسب وتعدده في الماضي"، ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٣٠: ٢٠٠.

وليس إغلاقا دائما تاما لها.

وقد ناسبت الفريدة ﴿رَانَ﴾ ما ذهب إليه السياق الذي بيّن الأسباب والموانع التي حجبت عنهم رؤية الحق، فالران حجاب وغطاء خفيف يزداد سمكا وكثافة وثقلا وغلظة كلما ارتكبت الذنوب والمعاصي تدريجيا؛ ذلك أن أصل الران–كما سبق بيان ذلك في المعنى المعجمي له–هو الصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرآة، ويعني: اسوداد القلب من الذنوب؛ لأن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتَتْ في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نَزَعَ واستغفر وتاب سُقِلَ (جلا) قَلْبُهُ، وإنْ عاد زِيدَ فيها حتّى تَعْلُوَ قلبه، وهو الرّان الذي ذكر الله، كما جاء في حديث النبي ﷺ السابق الذكر.

ولذلك فالفريدة (الران) لها دلالة خاصة على كونها حاجبا ومانعا قابلا للإزالة بالتوبة من المعاصي، وفي كونها تمثّل إغلاقا مؤقتا جزئيا للمنافذ المؤدّية إلى الإيمان، ولكنّ هذا الران يزداد سمكا بالعودة إلى المعاصي تدريجيا حتى يصل القلب إلى المرحلة الثانية من الإغلاق.

المرحلة الثانية: التغْطِيةُ على القلب وغَلْقه والاستيثاقُ من أَن يدخله الإيمان:

وتمثّل هذه المرحلة (الطبع والختم) وهما متقاربان دلاليّا؛ فكلاهما يعني في اللغة: بُلوغ آخِرِ الشّيء، والتغْطِيةُ على الشيء والاستيثاقُ من

أَن يدخله شيء[1]، لذا فهما يشتركان في معنى التغطية وعدم نفوذ الهدى والنور إلى قلب الكافر، فلا يوفّق لخير.

ومع كون (الختم والطبع) متقاربين دلاليا ولا نجد فارقا بين الختم والطبع في الاستعمال اللغوي إلا أن أبا هلال العسكري فرّق بينهما مبيّنا افتراقهما في نسبة المنع ومدى ثبوته ولزومه، فيقول: "الفرق بين الطبع والختم: أن الطبع أثر يثبت في المطبوع ويلزمه فهو يفيد من معنى الثبات واللزوم ما لا يفيده الختم، ولهذا يقال طبع الدرهم طبعا وهو الأثر الذي يؤثره فيه فلا يزول عنه، كذلك قيل أيضا: طَبْع الإنسان لأنه ثابت غير زائل، وقيل: طُبِع فلان على هذا الخلق إذا كان لا يزول عنه"[2]، وذكر الراغب الأصفهاني: أنّ "الطّبع أعمّ من الخَتْم"[3]، وذكر ابن قيم الجوزية أن الختم والطبع يشتركان في معنى التغطية على الشيء والاستيثاق منه، ويفترقان في معنى آخر وهو أن الطبع ختم يصير

(١) ينظر مادة (طبع) في: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٤٣٨/٣، ولسان العرب، ابن منظور، ٢٣٢/٨، ومادة (ختم) في: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٤٥/٢.

(٢) أبو هلال العسكري، "الفروق اللغوية". تحقيق محمد سليم، (د. ط، القاهرة: دار العلم، د. ت)، ٧٣.

(٣) الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي، (ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ)، ٥١٥.

سجية وطبيعة فهو تأثير لازم لا يفارق[١]، ولذلك فالطبع أشدّ من الختم، والختم أشدّ من الرّين، قال مجاهد: الرّيْن أَيسر من الطبع، والطبع أَيسر من الإِقْفالِ، والإِقْفالُ أَشدّ من ذلك كله[٢].

يقول الطبري: "إن الذنوب إذا تتابعت على القلوب أغلقتها، وإذا أغلقتها أتاها حينئذ الختم من قبل الله عز وجل والطبع، فلا يكون للإيمان إليها مسلك، ولا للكفر منها مخلص، فذلك هو الطبع والختم الذي ذكره الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡ﴾ نظير الطبع والختم على ما تدركه الأبصار من الأوعية والظروف التي لا يوصل إلى ما فيها إلا بفض ذلك عنها ثم حلها، فكذلك لا يصل الإيمان إلى قلوب من وصف الله أنه ختم على قلوبهم، إلا بعد فضه خاتمه وحله رباطه عنها"[٣].

المرحلة الثالثة: مرحلة القفل على القلب والإغلاق التام لكل المنافذ المؤدّية للإيمان:

وتمثل هذه المرحلة الفريدة ﴿أَقۡفَالُهَآ﴾ فيصل قلب المطبوع حينئذ

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل". (د. ط، بيروت، لبنان: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ١٧: ١٦-١٧.

(٢) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، ٨: ٢٣٢.

(٣) الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١: ٢٦٧.

إلى مرحلة القفل على قلبه ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾، وفي آيات القرآن الكريم غالبا ما يقترن الختم والطبع والرين على القلوب بالأسماع أو الأبصار مباشرة، أما في آية ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ فقدّم أولا ﴿فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٣]، وبعد أن تحقق من عملية الصمّ والعمى معا، ذكر ﴿عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾، وفي هذا دليل على الإغلاق التام لكل المنافذ المؤدّية للإيمان، أي أن القفل أشد وأقوى في عملية الغلق من الرين والختم والطبع.

— وأما السرّ الذي اقتضى مجيء الفريدة (ران) في آية سورة المطففين دون غيرها من مثل (الختم والطبع والقفل) فهو السياق الواردة فيه، فقد وردت الفريدة (ران) في سياق الحديث عن الفجّار في البيئة المكية، "وهذا شامل لكل فاجر من أنواع الكفرة والمنافقين والفاسقين"[(١)]، وهم يومئذ جبابرة وسادة مكة، وغالب الناس يومئذ من الكفار، ولم يتسلّم الإسلام بعد زمام الناس ليحكمهم وفق شريعة القرآن، ومن خصائص القرآن المكي مجادلة المشركين والكفار والتشنيع عليهم، ولذا استعمل معهم أسلوب التعنيف والتهديد والإنكار عليهم بلفظ ﴿كَلَّا﴾، ومن بلاغة القرآن الكريم معرفة أحوال المخاطبين ومخاطبتهم بما يقتضي

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان". اعتنى به سعد بن فوّاز الصّميل، (ط١، السعودية: دار ابن الجوزي، ١٤٢٢هـ)، ١٩٤٧.

حالهم من القوة أو اللين، والفجار في مكة في منتهى القوة والهيمنة على الناس، ومع ذلك فقد استعمل معهم المرحلة الأولى من الإغلاق الفكري المؤقت الجزئي وهي (الران) لما يأتي:

أولا: ليبيّن أن سبب كذبهم وزعمهم أن القرآن أساطير الأولين هو "كثرة القبائح والمعاصي التي غطت قلوبهم بالران وهو الحجاب الكثيف الذي يحدث بسبب تراكم الذنوب، فمنعتها من رؤية الحق والباطل، والتمييز بين الخير والشر"(١)، وهذا إنما كان بسبب عدوانهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ ﴾ المطففين: ١٢، فعدوانهم يحملهم على التكذيب، ويحملهم كبرهم على ردّ الحق، "فَمَنْ ران على قلبه كسبُه، وغطته معاصيه، فإنه محجوب عن الحق، ولهذا جُوزِي على ذلك، بأن حُجب عن الله، كما حجب قلبه في الدنيا عن آيات الله"(٢).

يقول البغوي: "قال الحسَينُ بن الْفَضْلِ: كما حَجَبَهُم في الدُّنيا عَنْ تَوْحيده حَجَبَهُمْ في الآخرة عَنْ رُؤْيَتِه"(٣).

ثانيا: التحذير والترهيب من الذنوب وعدم الاستهانة بما يبدو اليوم منها ذنبا صغيرا غير ذي أهمية، لكنه يحمل في ذاته مقومات النمو التي تجعل منه مهلكة للعاصي تتوعده يوم القيامة، فالذنوب "ترين على القلب وتغطيه

(١) الزحيلي، "التفسير المنير"، ٣٠: ١٢٣.
(٢) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ١٩٤٧-١٩٤٨.
(٣) البغوي، "معالم التنزيل"، ٨: ٣٦٦.

شيئا فشيئا، حتى ينطمس نوره، وتموت بصيرته، فتنقلب عليه الحقائق، فيرى الباطل حقًّا، والحق باطلا وهذا من أعظم عقوبات الذنوب"[1]، ثم ينتهي الأمر بصاحبه أن يُحجب عن ربه سبحانه، فاستعمال القرآن للران في المرحلة المكية زجر وترهيب لكل مَنْ يستهين بمعصية وأنها قد تودي به إلى أعظم العقوبات، فالفجّار لا يزالون في مكة وفي بداية الدعوة الإسلامية، فحذّرهم ابتداء من المعاصي وتراكم الذنوب التي تغطي قلوبهم بالران وأن الاستمرار عليها يودي بهم إلى أعظم العقوبات.

- وأما عن سرّ مجيء الفريدة ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ في آية سورة محمد دون غيرها من مثل (الران والختم والطبع)، فهو السياق والمقام الواردة فيه، فكما تقدم في المعنى اللغوي للفريدة (أقفالها) أنّ من معانيها الإغلاق والغلظة والشدة وما لا يَخْرُجُ من يَدَيْه خَيْرٌ، فآخر الختم والطبع القفل، وقد وردت هذه الفريدة في سياق الحديث عن المنافقين في البيئة المدنية، وكأن المنافقين قد كتبوا نهايتهم على أنفسهم بما كسبت أيديهم، فصار بينهم وبين القرآن والنبي ﷺ عداوة ونفور، ويبدو أن المنافقين في المدينة عطّلوا منافذ الإدراك عندهم فانقطعت بوادر الإيمان والهدى عندهم، ولذا جعلت آية سورة محمد الأقفال رمزا لإغلاق الإدراك والفهم لديهم، والإغلاق التام لكل المنافذ المؤدية إلى دخول الإيمان في قلوبهم، فلا يدخلها إيمان ولا يخرج منها نفاق وكفر ولا أمل في إصلاحهم ما دامت

(١) السعدي، "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان"، ١٩٤٨.

منافذ الإدراك (القلب والسمع والأبصار) قد سُدّت بسبب كفرهم ونفاقهم وإعراضهم، وقد استنفذوا كل مراحل الإنذار والزجر، وتكرّر تعريفهم بالحقّ ومنفعته، وتعريفهم بالشرّ وضرره، فقامت الحجة عليهم بذلك، ولا عذر لهم بعد ذلك عند الله تعالى بعد أن "تناهوا في اعتقاد الباطل، ولم يلتفتوا بوجه إلى القرآن، فأورثهم ذلك هيئة تمرّنهم على استحسان الكفر والباطل، فاستحكم الطبع والختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم، فكأنما يُقفل بذلك على قلوبهم"(١).

- جاء التعبير في الآية من خلال الفريدة ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ بأسلوب الاستعارة المكنية، "إذ شبهت القلوب، أي العقول في عدم إدراكها المعاني بالأبواب أو الصناديق المغلقة، والأقفال تخييل"(٢).
- جاءت القلوب نكرة وأُضيفت الأقفال إليها، يقول الرازي في بيان سرّ ذلك: " وتنكيرُ القلوبِ إمَّا لتهويلِ حالِها وتفظيع شأنها بإيهام أمرِها في القساوةِ والجهالةِ كأنَّه قيلَ على قلوبٍ منكَرةٍ لا يعرفُ حالُها ولا يُقادرُ قدرُها في القساوةِ وإما لأنَّ المرادَ بها قلوبُ بعضٍ منْهم وهم المنافقونَ وإضافةُ الأقفالِ إليها للدلالةِ على أنَّها أقفالٌ

(١) استفدت هذه الفقرة من: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ٢٧٥. بعد أن تصرّفت فيها تصرفا يسيرا.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٦: ١١٤.

مخصوصةٌ بها مناسبةٌ لها غيرُ مجانسةٍ لسائرِ الأقفالِ المعهودةِ"[1].

المبحث الثالث: عداوة المشركين للقرآن الكريم

المطلب الأول: تأويلهم وتحريفاتهم للقرآن الكريم

ويمثّل هذا المطلب المرحلة الأولى من عداوة المشركين للقرآن الكريم، واحتوى على فريدة واحدة، وهي ﴿عِضِينَ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝٩١﴾[2].

أولا: الدلالة المعجمية

اختلف أهل العربية في اشتقاق أصل ﴿عِضِينَ﴾ فمنهم من قال واحدها عِضَة، والعِضَة: الجزء والقطعة من الشيء، وأصلها عِضْوة فِعْلة، من عضّيتُ الشيء، إذا فرّقتَه وجزّأته، وبذلك جعلوا الحرف الناقص من أصل العِضَة هو الواو، فهي من (العضو)، والعِضِين: الفِرَق، ومنهم من قال: أصل العِضَة عِضْهة، فاستثقلوا الجمع بين هاءين فقالوا عِضَة، وبذلك جعلوا الحرف الناقص من أصل العِضَة هو الهاء، فهي من (العضه)، ومعنى العَضْهُ: السّحر بلغة قريش[3]، والعَضْهُ القالةُ القَبيحَةُ[1]،

(١) أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٦: ١٥٩.

(٢) سورة الحجر الآيتان: ٩٠ – ٩١.

(٣) ينظر مادة (عضو، عضه) في: الجوهري، "الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية"، ٦: ٢٢٤١؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٤: ٣٤٧.

والنّمِيمَةُ، وقيل: هو من العِضَهِ، وهو: الكذب، والبهتان، والسبّ المفحش، يقال: عَضَهُ عَضْهَا، وعضيهةً، أي: رماه بالبهتان، وهذا قول الكسائي رحمه اللّهُ تعالى[٢]، وقيل: "هو من العِضَاه، وهو كل شجر يعظم وله شوك مؤذٍ"، قاله الفرّاء[٣].

ثانيا: السياق الخاص

تتحدّث الآيتان السابقتان عن المقتسمين ويجوز أن يراد بهم جَمْع من المشركين من قريش، فيكون المراد بالقرآن مسمى هذا الاسم العلم وهو كتاب الإسلام، وقد اقتسموا القرآن بأقوالهم الكاذبة، فقال بعضهم: هو شعر، وقال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، ويجوز أن يراد بهم طوائف أهل الكتاب قسموا كتابهم أقساما، منها ما أظهروه وآمنوا به ومنها ما أخفوه وكفروا به وفقا لأهوائهم وأغراضهم، فيكون القرآن مصدرا أطلق بمعناه اللغوي، أي المقروء من كتبهم، وقد أخرج البخاري عن ابن عباس، في قوله: {كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين} قال: "هم أهل الكتاب، جزؤوه فجعلوه أعضاء أعضاء، فآمنوا ببعضه، وكفروا

(١) ينظر مادة (عضه) في: ابن منظور، "لسان العرب"، ١٣: ٥١٥.

(٢) ينظر: علي بن حمزة الكسائي، "معاني القرآن". قدم له: عيسى شحاته، (د. ط، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، ١٩٩٨م)، ١٧٥-١٧٦.

(٣) الفراء، "معاني القرآن"، ٣: ٦٧.

ببعضه"[1]، أو قسموا كتاب الإسلام، منه ما صدقوا به وهو ما وافق دينهم، ومنه ما كذبوا به وهو ما خالف ما هم عليه، قال عكرمة سُمّوا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا القرآن استهزاء به فقال بعضهم سورة كذا لي وقال بعضهم سورة كذا لي والمراد بالتقسيم والتجزئة تفرقة الصفات والأحوال لا تجزئه الذات[2].

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

١- نستدل من المعنى المعجمي للفريدة ﴿عِضِينَ﴾ أن معانيها تدور حول التفرقة والتجزئة والسّحر والكذب، والبهتان، والسبّ

(١) البخاري، "صحيح البخاري"، (٤٧٠٥) كتاب التفسير، باب قوله تعالى: {الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ} حديث رقم ٤٣٣٦، ١٤: ٣٠٥، وكذا رواه الطبري بنصه في تفسيره، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١٤: ١٢٩، وذكر مثل هذا القول: البغوي، "معالم التنزيل"، ٨: ٣٦٥؛ وابن كثير في تفسيره. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق سامي بن محمد سلامة، (ط٢، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ٤: ٥٤٩.

(٢) ينظر: جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل". (د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ٢: ٥٨٩؛ والرازي، "مفاتيح الغيب"، ١٩: ١٦٨؛ ومحمد الأمين الشنقيطي، "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، ٢: ٣١٨؛ وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٨٥.

المفحش، والقالة القَبِيحَة، والنميمة، والإيذاء.

٢- يوحي سياق الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ بمدى تكذيب المشركين وأهل الكتاب وعنادهم ومزيد عداوتهم للقرآن الكريم وللنبيﷺ، فمعنى جعلهم القرآن عضين حكمهم بأنه مفترى وتكذيبهم به[١]، حيث قسَموا القول فيه إلى حق وباطل عنادا وعدوانا.

٣- إن الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ لا يغني غناءها غيرُها من مثل: أجزاء؛ فهي لا تعادل الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ في دلالتها الخاصة على ما يلي:

– عدم دلالة الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ على مطلق التجزئةِ والتفريق، "فالتعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريق الأعضاء من ذي الروح المستلزمُ لإزالة حياتِه وإبطالِ اسمِه دون مطلق التجزئةِ والتفريق اللذَيْن ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيض من المِثليات"[٢]، معنى ذلك أنهم لم يجزّئوا القرآن بهدف تيسير وتسهيل قراءته وحفظه وفهمه والعمل به، كما هو الحال في تقسيم القرآن الكريم ثلاثين جزءا، بل كان هدفهم من التعضية إيذاء القرآن بجعله ذا أعضاء وأجزاء متفاصلة متباينة مختلفة فيما بينها وعزلها وتفريقها عن بعضها فهي غير قابلة للرجوع إلى أصلها مثل أعضاء الجزور إذا قطعت، بمعنى تفريق وحدة وبنية وارتباط والتئام القرآن الكريم،

(١) ينظر: الآلوسي، "روح المعاني"، ٧: ٣٢٥.

(٢) أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٤: ٩٣.

بتفريق معانيه ونظمه، والإيمان ببعضه والكفر ببعضه الآخر، كما قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[1].

- التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للتنصيص على كمال قبح وشناعة ما فعلوه بالقرآن العظيم[2]، وبالنبيﷺ إذ كانوا يقصدون بقالتهم القبيحة عن القرآن الطعنَ فيه، والنميمةَ والإفسادَ بين النبيﷺ وبين الناس؛ لإبعاد الناس عن الإيمان بدينه.
- التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للدلالة على أنهم "أكثروا البهت على القرآن ونوّعوا الكذب فيه"[3]، حيث قال بعضهم: هو سحر، وقال بعضهم: كهانة، وقال بعضهم: أساطير الأولين، ومما يدلّ كذلك على إكثارهم من البهت على القرآن الكريم لفظ ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ وهو افتعال من قسم إذا جعل شيئا أقساما، وصيغة الافتعال هنا تقتضي تكلف الفعل وتطلّبه والاجتهاد فيه[4] فعلى هذا فمعنى (التعضية) أي فرّقوا القرآن بشدة وجهد.
- كما أن التعبير عن تجزئة القرآن بالتعضية للدلالة على اضطرابهم وعبثهم، فهم لا يثبتون على قول واحد بحق القرآن والنبيﷺ، فتارة

(١) سورة البقرة آية: ٨٥.
(٢) ينظر: أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٤: ٩٣.
(٣) القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٠: ٥٩.
(٤) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٤: ٨٥.

يقولون شاعر وتارة كاهن، وتارة ساحر، كما قال تعالى في حقّ المكذبين بالقرآن الكريم: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾[(١)].

وأما كلمة (أجزاء) فلا تعطي الدلالات السابقة للفريدة ﴿عِضِينَ﴾ فهي تدل على "مطلق التجزئة والتفريق اللذَيْن ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيضُ من المِثليات"[(٢)]، والقرآن يضرّه التعضية فهي تسلب عنه وحدته وروحه، كما تدور معاني (جزأ) على الاكتفاء والاستغناء، بمعنى الاستغناء عن الأصل، كما قال ابن فارس: "والجُزْءُ: استغناء السائمة عن الماء بالرّطُب"[(٣)]، "إنّ قَوْلك اجتزا يَقْتَضِي أَنه دون مَا يحْتَاج إِلَيْهِ وَأَصله من الْجُزْء وَهُوَ اجتزاء الإِبِل بالرطب عَن المَاء وَهِي وَإِن اجتزأت بِهِ يَقْتَضِي أَنه دون مَا تحْتَاج إِلَيْهِ مِنْهُ فَهِيَ محتاجة إِلَيْهِ بعض الْحَاجة"[(٤)]، ومعنى ذلك أن الجزء قد يستغني عن الأصل بغيره ولكن ليس استغناء بالكلية، بل يبقى الجزء بحاجة للأصل، ويُفهم من ذلك أنه لو قال: وجعلوا القرآن أجزاء بدل عضين، لكانت تجزئتهم

(١) سورة ق آية: ٥.

(٢) أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٤: ٩٣.

(٣) يقول ابن فارس: (جزأ) أصل واحد يدل على الاكتفاء بالشيء، والجزء: استغناء السائمة عن الماء بالرّطب، والجزْء: الطائفة من الشّيء، ينظر: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ١: ٤٥٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١: ٤٥-٤٦.

(٤) أبو هلال العسكري، "الفروق اللغوية"، ١: ١٢٠.

غير تامة، وبقي الجزء الذي قسموه له نوع تعلق بالقرآن، ولكن لما قال عضين فُهم أن تجزئتهم تامة لا علاقة لها بالأصل مستغنية عنه، ولا أمل في إرجاع العضو المقسوم إلى أصله، وهذا دليل على عظيم جُرمهم، فهم قد وصفوا القرآن بصفات يستحيل التقاؤها مع القرآن بحال، كما أنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا ببعضه الآخر المخالف لأهوائهم مثل نسخ شريعتهم وإبطال بُنوّة عيسى لله تعالى، بصورة يستحيل معها أن يبقى قرآن بالهيئة والإعجاز والالتئام والارتباط الذي أنزله المولى سبحانه، ولا يمكن هذا في حقّ القرآن الكريم فهو وحدة واحدة، كما قال عنه البقاعي: "منتظم التأليف أشد انتظام، متلائم الارتباط أحكم التئام"[(١)]، وبما أن الجزء له نوع تعلق بالأصل فقد تظهر فيه خواص الكل وصفاته[(٢)]، وأما الشيء المعضّى (القرآن) فلا تظهر في أعضائه خواص القرآن وصفاته؛ لأنه الأعضاء المتفرقة قد فُصلت وجُزّئت تماما عن الأصل، فهم بتعضيتهم للقرآن قد نزعوا روحه التي تسري فيه، فكيف تظهر في الأعضاء المتفرّقة صفات القرآن، ومن هنا نقول يتكون القرآن الكريم من ثلاثين جزءًا وليس عضوا؛ لأن الأجزاء وحدة واحدة لا تستغني عن بعضها، وإنما التجزيء فقط لسهولة الحفظ وتيسير الفهم، وليس لإحداث اللبس وتشكيك الناس والإيمان ببعض القرآن

(١) البقاعي، "نظم الدرر"، ٤: ٢٣٧.

(٢) ينظر: أحمد مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، مادة (سطو)، ١: ٣٦٩.

وتنحية البعض الآخر والكفر به.

ومن هذا يتبين أن لفظ (أجزاء) لا يعطي الدلالات السابقة للفريدة ﴿عِضِينَ﴾، كما لا يتناسب وسياق الآية الذي يصور مدى تكذيب المشركين وأهل الكتاب وعنادهم ومزيد عداوتهم للقرآن الكريم وللنبيﷺ ويصور افتراءاتهم على القرآن الكريم التي تهدف إلى إحداث قطيعة معرفية مع القرآن الكريم وعزله عن مقاصده وسياقه، وصولا إلى تجاوزه، واستبداله بمرجعيات وضعية، ولا شك أن هذه الفريدة تصور هذه العداوة للقرآن ليس في زمن النبي ﷺفحسب بل العداوة والتعضية في كل زمان ومكان للنّيل من القرآن الكريم، وأنّى لهم ذلك!

– جاءت الفريدة ﴿عِضِينَ﴾ في جملة خبرية مستعملة في لازم الفائدة[1]، فالمقتسمين على علم بما فعلوا من التقسيم، ولكنّ

(١) "الأصل في توجيه الكلام الذي يتضمن خبرا ما أن يكون الغرض منه الإعلام بالخبر الذي دل عليه الكلام، أي: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الجمل الخبرية، ويسمى هذا عند علماء البلاغة فائدة الخبر، وقد يراد من توجيه الكلام الذي يتضمن خبرا ما، إعلام المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة الخبرية، ولا بد عندئذ من أن يكون المخاطب عالما به، ويسمى هذا عند علماء البلاغة لازم الفائدة". عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، "البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها وصور من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد". (ط١، دمشق: دار

المتكلم وهو المولى سبحانه يخاطبهم ليعلموا أنه سبحانه مطّلع على قسمتهم، ومراقب لأقوالهم، وفي ذلك إيقاظ لهم بأن يتدبروا في هذا الذي زعموه عن القرآن؛ ليظهر لهم صدقه، فيوقنوا أن القرآن لا يكون إلا من إنزاله سبحانه، وهذا الخبر مسوق لتسلية النبيﷺ ووعيدا لمن افترى على القرآن وجعله عضين.

المطلب الثاني: سطو المشركين بالتالين للقرآن الكريم

ويمثّل هذا المطلب المرحلة الثانية من عداوة المشركين للقرآن الكريم، واحتوى على فريدة واحدة، وهي ﴿يَسْطُونَ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

أولا: الدلالة المعجمية

السّطْو: البَسْط على الناس بقَهْرِهم من فوق، والسّطْو: شدة البطش، والقهر والعلو بالبطش والإذلال كان ذلك بضرب أو بشتم أو بأخذ باليد، وسطا الماءُ: إذا كثر، وسطا الفرس سطوا وسطوة: ركب

القلم، بيروت: الدار الشامية، ١٤١٦ هـ-١٩٩٦م)، ١: ١٧٣.

(١) سورة الحج آية: ٧٢.

رأسه[١]، وسطا على الشّيء: سرقه، وانتهبه في بطْش، والسَطْوة: السلطة والتأثير وسطَا بالذين ينافسونه على الزّعامة[٢]، وسطا على ماله: استولى عليه حيلة أو خفية أو في بطش[٣]، ويَسْطُونَ عليهم يعني: يفرطون عليهم، والسطوة العقوبة[٤].

نستدل من المعنى المعجمي للفريدة أن معانيها تدور حول شدة البطش والبَسْط على الناس، وأخذ الشيء بقهر وعلو وإذلال وتكبر وعنف، وقد يكون أخذ الشيء والاستيلاء عليه ببطش (ضرب أو شتم أو أخذ باليد) أو بحيلة أو خفية، وفيها معنى الكثرة والإفراط والعقوبة والعناد والسلطة والتأثير والاستمرار وعدم التوقف عن البطش عند الغضب.

(١) ينظر مادة (سطا) في: الخليل بن أحمد الفراهيدي، "كتاب العين". تحقيق عبد الحميد هنداوي، (ط١، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م)، ٢: ٢٤٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٤: ٣٨٣؛ والفيومي، "المصباح المنير في غريب الشرح الكبير"، ٤: ٢٣٧

(٢) ينظر: أحمد مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، مادة (سطو)، ٢: ١٠٦٥–١٠٦٦.

(٣) ينظر: جبران مسعود، "الرائد معجم لغوي عصري". (ط٧، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢م، ٤٤٠.

(٤) ينظر: نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي، "تفسير السمرقندي المسمّى بحر العلوم". تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود وزكريا النّوتي، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م)، ٢: ٤٠٤.

ثانيا: السياق الخاص

بيّنت الآية السابقة لهذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ﴾[1]، ما يقدم الكفار عليه من عبادتهم لغير الله تعالى مع عظيم نعمه ووضوح دلائله، وأن عبادتهم لغير الله تعالى ليست مأخوذة عن دليل سمعي ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ ولا عن دليل عقلي ﴿وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ﴾ وإذا لم يكن كذلك فهو عن تقليد أو جهل أو شُبهة، ثم تناولت الآيةُ الواردة فيها الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ الحديثَ عن عداوة المشركين للقرآن الكريم وأهله، وعدم استماعهم لدعوة الحقّ، وإضمارهم الغيظ والبغضاء والشرّ في قلوبهم وظهور دلالتها على وجوههم على التالين عليهم القرآن، وهمّهم البطش والوثوب بهم لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم؛ تعظيما لإنكار ما خوطبوا به، ومن فرط الغيظِ والغضبِ لأباطيلَ أخذُوها تقليدا، وهذا يدل على سيطرة الجهالة والعناد والكفر عليهم[2].

تفرّدت ﴿يَسۡطُونَ﴾ في السياق السابق مع وجود مواضع أخرى

(١) سورة الحج آية: ٧١.

(٢) ينظر: الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١٦: ٦٣٢؛ وأبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٤: ٤٨٣؛ والزحيلي، "التفسير المنير"، ١٧: ٢٧٦.

كثيرة مشابهة لهذا السياق الذي تُتلى على الكفار آيات القرآن الكريم ولكنهم كانوا يقتصرون على النكوص عن آيات القرآن على أعقابهم[١]، أو التولي باستكبار[٢]، أو جعلهم القرآن عضين كما مرّ في المرحلة الأولى من عداوتهم للقرآن، بينما في الموضع الوارد فيه الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ تبدّل حالهم ولم يكتفوا بكل ما سبق من وجوه عداوتهم للقرآن والتالين له، بل ظهرت دلالة الغضب على وجوههم، وكادوا يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات القرآن الكريم، وحتى يتسنّى لنا تفسير الخاصيّة الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ في سياقها دون غيرهما من مرادفاتها، كان لا بدّ من معرفة مفهوم هذه الفريدة، وربطها بسياقها الواردة فيه.

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

– يوحي سياق الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ بظلال نفسية تعكس وتصوّر ما يشغل نفوس الكفار في البيئة المدنية وما يختلجها من فرط الغيظِ والغضبِ والكراهة والانفعال عند سماع القرآن ورؤية التالين له، فلم

(١) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ﴾ المؤمنون: ٦٦.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان: ٧.

يعودوا يطيقون صبرا على سماع القرآن، ولم تعد الحِيل والافتراءات على القرآن التي كانوا يعملونها في البيئة المكية تنفعهم لصدّ الناس عن القرآن، ولم يعودوا يكتفون بالنكوص والتولي عند سماع القرآن خاصة عندما أعوزتهم الحجة وخذلهم الدليل على إثبات دعواهم بأن القرآن إفك مفترى وأنه سحر مبين، ولذا فالفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ تنبئ عن تبدّل حال الذين كفروا وظهور دلالة الغضب والكراهة على وجوههم من التالين للقرآن، وبدا عليها عزمهم على إيقاع العقوبة والانتقام منهم، "وهذا كناية عن امتلاء نفوسهم من الإنكار والغيظ حتى تجاوز أثرُه بواطنَهم فظهر على وجوههم"(١)، وهمّوا بأخذ التالين بأيديهم وألسنتهم بالسوء، يقول البغوي: "﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾ أي: يقعون ويبسطون إليكم أيديهم بالسوء. وقيل: يبطشون"(٢).

- إن الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ لا يغني غناءها غيرُها من مثل: بطش؛ لأن البطش لا يعادل السطو في دلالته الخاصة على ما يأتي بحسب المعنى المعجمي له:
- شدة البطش والبَسْط على الناس بعنف وقوة وحدّة وقسوة وعدم رحمة ولكن على مهل ودون سرعة.

(١) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٣٣٤.
(٢) البغوي، "معالم التنزيل"، ٥: ٣٩٩.

– أخذ الشيء بدون وجه حقّ والاستيلاء عليه بقهر وإذلال ببطش (ضرب أو شتم أو أخذ باليد) أو بحيلة أو خفية، ويسبقه ظلال نفسية من الانفعال والفوران وثورة الغضب، ومن الفوقية والعلو والتكبر باعتقادهم أنهم أهل قوة بإمكانهم فعل ما يشاؤون بالمؤمنين.

– الإفراط والاستمرار وعدم التوقف عن البطش عند الغضب، وحبّ السلطة والمنافسة على الزّعامة.

وأما البطش فيدل على الأَخذ القَوِيّ الشّديد وبعنف، وبَطَشَ به سَطا عَلَيْه في سُرْعة [(١)]، وبَطَشَ بالشيء: أَمسكه بقوّة [(٢)]، وقال ابن عباس ومجاهد: البطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط، والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع، ويليه السوط والعصا، ويليه الحديد[(٣)].

ومن هذا يتبين أن لفظ (بطش) لا يعطي الدلالات السابقة للفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ فغاية ما يدل عليه الأخذ بقوة وعنف وعلى وجه السرعة، وهذا ما لا يتناسب وسياق الآية الذي يصور حال الكفار عند سماعهم لآيات القرآن وما يدور في نفوسهم من الانفعال والغضب الذي بدا على وجوههم ثم تحوّل ذلك إلى مقاربة السطو بهم، كما تدل الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ على

(١) ينظر مادة (بطش) في: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ١: ٢٦٢؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٦: ٢٦٧. وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ١: ٢٦٢.

(٢) ينظر مادة (بطش) في: إبراهيم أنيس وآخرون، "المعجم الوسيط"، ٦١.

(٣) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٣: ١٢٣.

التكبر والفوقية والعناد، وأن السطو نابع من حب التسلط والزعامة، ولا يكون السطو على عجل وسرعة بل على مهل وترو، فقد صوّر القرآن المكي انفعالَ الكفار وغضبهم ونكوصهم وتوليهم عند سماع القرآن واتهامه بالإفك والسحر كما في آيات سور: المؤمنون(١)، ولقمان(٢)، الحجر(٣) وغيرها، ثم لما فاض الكيل بهم وأعوزتهم الحجة وخذلهم الدليل على إثبات افتراءاتهم على القرآن لجؤوا إلى محاولة السطو بالتالين للقرآن.

كما أن السطو قد يكون ببطش أو بحيلة أو خفية، ففيه استنفاذ كل الوسائل للفتك بالمؤمنين، كما أن السطو يوحي بالإفراط في البطش والاستمرار فيه وعدم التوقف عنه عند الغضب، وهذا دليل على امتلاء قلوبهم بالغيظ والغضب من التالين للقرآن الكريم(٤)، وأن

---

(١) قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ﴾ المؤمنون: ٦٦.

(٢) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ لقمان: ٧.

(٣) قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ الحجر: ٩٠ – ٩١.

(٤) مما يدل على امتلاء قلوبهم بالحقد التعبير بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ للإيذان بأن معنى الصلة (الكفر) مما اشتهر الكفار به، فَهُم لعراقتهم وتجذّرهم في الكفر؛ بعظيم ما ارتكبوه من الكفر وهمّهم الفتك والسطو بالتالين للقرآن، جاء التعبير عنهم بالاسم الموصول، حيث صارت الصلة

السطو بالمؤمنين ديدنهم طول زمانهم، ولذلك يقول أبو حيان في معنى ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ﴾: "أي هم دهرهم بهذه الصفة فهم يقاربون أن يصولوا على الذين يتلون عليهم الآيات من شدة الغضب والغيظ من سماع القرآن طول زمانهم، وإن كان قد وقع منهم سطو ببعض الصحابة في شاذ من الأوقات"(١).

كذلك فالفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ تدل على الأَخذ الْقَوِيّ الشّديد وبعنف كما هو الحال في لفظ (بطش) ولكن للفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾ خصوصية دلالية ليست موجودة في خصوصية دلالة (بطش)، وهي أن السطو دليل على القسوة وعدم الرحمة بالآخر، فأنت قد تبطش بالآخر ثم ترحمه، وأما السطو فأخذ بقسوة لا رحمة بعده.

– جاء الإطناب في الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾، وجملة ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ ﴾ في موضع بدل الاشتمال لجملة ﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَ﴾؛ لأن الهمّ بالسطو مما يشتمل عليه المنكر(٢)، والجملة أيضا "مستأنفة جواب سؤال مقدّر، كأنه قيل: ما ذلك المنكر

مغنية عن الاسم العلم (الكفار)، وقاعدة: التعبير بالاسم الموصول، أفدّتها من: تفسير ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٩: ٩، وقمت بتوظيفها هنا.

(١) تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٥٣٦/٧.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٣٣٥.

الذي يعرف في وجوههم؟ فقيل: يكادون يسطون"[1].

كما جاء الإطناب بالإظهار في مقام الإضمار في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، ومقتضى الظاهر أن يقول: تعرف في وجوههم، "فخولف مقتضى الظاهر للتسجيل عليهم بالإيماء إلى أن علة ذلك هو ما يبطنونه من الكفر"[2].

المبحث الرابع: محاجة المنكرين والجاحدين من الكفار والمشركين.

احتوى هذا المبحث على فرائد أربع، وهي ﴿فَيَدۡمَغُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٨]، و﴿تَخُطُّهُۥ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، و﴿ٱلۡوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٦]، و﴿تَفۡسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، وسأكتفي بعرض نموذج واحد من هذه الفرائد، وهو الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾[الفرقان: ٣٣].

أولا: دلالة الفريدة اللغوية

التفسير في اللغة: تفعيل من الفَسْرُ، والفَسْرُ: البيان والتوضيح والإظهار وكشف المغَطّى، فَسَر الشيءَ يفسِرُه وتَفْسُرُه فَسْرا وفَسّرَهُ أَبانه، والفَسْر والتّفسِرَة: نظَر الطّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه، والتّفْسير

(١) الشوكاني، "فتح القدير"، ٥: ١٣٧.

(٢) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ٣٣٥.

كَشف المراد عن اللفظ المشْكل[١].

بيّن الراغب أن الفَسْرُ والسّفْرُ يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما لكن جُعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تَفْسِرَة، وسمي بها قارورة الماء، وجُعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار، فقيل: سفرت المرأة عن وجهها وأسفر الصبح[٢].

والتفسير في الاصطلاح: للعلماء في تعريفه أقوال كثيرة، ومنها: علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[٣].

نستدل من المعنى المعجمي للفريدة أنّ معانيها تدور حول البيان والتوضيح والإظهار والكشف.

(١) ينظر مادة (فسر) في: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٤: ٥٠٤؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ٥: ٥٥.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ٦٣٦؛ والراغب الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني". جزء١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة محمد عبد العزيز بسيوني، (ط١، مصر: كلية الآداب–جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ–١٩٩٩م)، ١: ١٠–١٢.

(٣) ينظر: محمد عبد العظيم الزرقاني، "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٢هـ–١٩٤٣م)، ٢: ٣.

ثانيا: السياق الخاص

بعد أن حكى اللّه تعالى شبهةً لمشركي مكة واستقصى أكثر معاذيرهم وتعلّلاتهم وألقمهم أحجار الرد إلى لهواتهم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[1]، حيث قالوا: إذا كنت تزعم أنك رسول من عند اللّه، فهلا أنزل القرآن عليك جملة واحدة، عطف على ذلك فذلكة جامعة تعمّ ما تقدم وما عسى أن يأتوا به من الشكوك والتمويه بأن كل ذلك مدحوض بالحجة الواضحة الكاشفة لترّهاتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾، وقد أبان الله تعالى في هذه الآية تأييد نبيه بالوحي وإبطال حجج المشركين، فهم كلما جاءوا بمثل أو شبهة جئناك بالجواب الحق الثابت عليه في نفس الأمر، ويكون أصدق في الواقع، وأحسن تفسيرا وبيانا مما يقولون[2]، و"ينقض عليهم ما يأتون به" [3].

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

– يوحي سياق الفريدة ﴿ تَفۡسِيرًا﴾ بمدى جهل وزيغ وعناد الكفار

(١) سورة الفرقان آية: ٣٢.

(٢) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٩: ٢١؛ والزحيلي، "التفسير المنير"، ١٩: ٥٨-٦٠.

(٣) الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ١٥: ١١٦.

والمشركين الذين لا يفتؤون يثيرون الشُبَه ويلقون اقتراحاتهم وأسئلتهم الباطلة معارضة للنبيﷺ لإبطال أمره وأمر القرآن الكريم، ولكنّ المولى سبحانه يبرّئ ساحته فيجيئه في مقابلة أسئلتهم التي هي مَثَل في البُطلان بالجوابِ الحقّ القالع لعروقِ أسئلتِهم الشّنيعةِ الدّامغةِ لها بالكُلّية، والذي ينْحي عليها بالإبطالِ ويحسم مادّةَ القِيلِ والقالِ، مع كون هذا الجواب الحق أحسن تفسيرا وكشفا وإيضاحا للحقائق[١].

– إنّ الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ لا يغني غناءها غيرُها من مثل: تأويلا؛ لأنها لا تعادل الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ في دلالتها الخاصة، فبالرغم مما هو شائع عند المتقدمين من المفسّرين كالطبري ومن قبله من كونهما بمعنى واحد وأنهما مترادفان، ولكنّ الإمام الزركشي رجّح أن هناك فرقا بين التأويل والتفسير وأنهما ليسا بمعنى واحد، فقال: "والصحيح تغايرهما"[٢]، والمتأمل في سياق الآية السابقة يتبيّن له اصطفاء القرآن الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ دون لفظ التأويل مثلا، وقد ورد لفظ (التأويل) في سياقات أخرى سبع عشرة مرة، بينما الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ وردت مرة واحدة في القرآن، وهذا دليل واضح على وجود فروق ودلالات وإيحاءات خاصة بالفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ اقتضت اصطفاءها على كلمة (تأويلا)

(١) ينظر: أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٠٥؛ والشنقيطي، "أضواء البيان"، ٥: ٢٩٩.

(٢) الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ٢: ١٤٩.

وإن اتفقتا على كونهما تفسيرا للفظ وبيان معناه، ومما ذكره العلماء في الفرق بين التفسير والتأويل مما يلزمنا في بيان سبب اصطفاء الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾ دون كلمة (تأويلا) أن التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، حيث ذكر الراغب أن التفسير أعم من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ ومفرداتها، وأكثر استعمال التأويل في المعاني والجمل، وأكثر ما يستعمل التأويل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها[1]، فهنا يرى الراغب أن التفسير أعمّ من التأويل، والعموم في الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾ يتناسب مع تنكير ﴿بِمَثَلٍ﴾ الدال على التعميم لمجيئه في سياق النفي، يقول ابن عاشور: "وتنكير {مَثَل} في سياق النفي للتعميم، أي بكل مَثَل، والمقصود: مَثَل مِن نوع ما تقدم من أمثالهم المتقدمة...ودلّ على إرادة هذا المعنى من قوله {بِمَثَل} قوله آنفا: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾[2] عقب قوله: ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلٗا مَّسۡحُورًا﴾[3]"[4]، ويُفهم من ذلك أن الكفار جاؤوا بشُبَه كثيرة ومتنوعة يعترضون بها على القرآن، وعلى النبي ﷺ فجاءت الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾لتدلّ بعمومها على كشف

(١) ينظر: الراغب الأصفهاني، "تفسير الراغب الأصفهاني"، ١: ١١.

(٢) سورة الفرقان آية: ٩.

(٣) سورة الفرقان آية: ٨.

(٤) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٩: ٢١.

الحجة وتجلية الدليل وإظهار البرهان في كل ما أثاروه من أمثال وشُبَه فلا يبقى بعد ذلك غموض ولا شُبهة فيظهر حينئذ الحقّ وينكشف.

ومن العلماء من يرى أن التفسير يخالف التأويل بالتباين، يقول الماتُرِيدِيّ[١] في بيان وجه التباين: "التفسير القطع على أن المراد من اللفظ هذا، والتأويل ترجيح أحد المحتملات بدون قطع"[٢]، فالماتُرِيدِيّ يرى أن التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ مُتوَجّه إلى معان مختلفة إلى واحد منها، بما ظهر من الأدلة وبدون قطع[٣]، وبناء على هذا التباين بين التفسير والتأويل يكون اصطفاء الفريدة ﴿تَفۡسِيرًا﴾ في هذا السياق في محلّه ولا تغني عنها كلمة (تأويل) فالمقام مقام مواجهة ومجابهة ومقارعة لا تصلح فيه التأويلات

(١) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) من كتبه (التوحيد) و(أوهام المعتزلة) و(الرد على القرامطة) و(مآخذ الشرائع) في أصول الفقه، وكتاب (الجدل) و (تأويلات القرآن) و (تأويلات أهل السنة)، و(شرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة)، مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ. ينظر: الزركلي، "الأعلام"، ٧: ١٩.

(٢) أبو منصور المَاتُرِيدِيّ، "تفسير المَاتُرِيدِيّ (تأويلات أهل السنة)". تحقيق مجدي باسلوم، (ط١، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م)، ١: ١٨٥.

(٣) ينظر: السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، ٤: ١٩٢.

والاحتمالات والمراوغات وتقديم الحلول المحتملة، فهو يتطلب قطعا وكشفا وحسما لشُبههم ودمغا وقلعا لعروقِ أمثالهم الباطلة وكشفا وإيضاحا للحقائق بوجه واحد صحيح وبرهان قاطع.

- إن الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ تكشف الحجة للوصول إلى الشيء المغطّى وهو الحقّ، وهو الغاية التي يسعى القرآن للوصول إليها، وليس إفحام المعارضين والانتصار والغلبة عليه في مقارعاتهم ومحاجّاتهم، ومما يقوّي هذا المعنى ما يأتي:
- ومن نكت دقائق الاستعمال مجيء ﴿وَأَحْسَنَ﴾ أفعل التفضيل، وهي إما ألا تكون على بابها؛ فالتفضيل حينئذ للمبالغة، ومعنى كونه أحسن، أنه أحق في الاستدلال، إذ ليس في حجتهم حسن، وما كان كذلك فلا بدّ أن يصل إلى الحقّ ويكشف عنه، أو أن يكون التفضيل على حقيقته، وحينئذ يُراد بالحُسْنِ مَا يَبْدُو مِن بَهْرَجَةِ سَفْسَطَتِهِم وَشُبَهِهِم فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعا في نفوس السامعين من مغالطاتهم [1].
- مجيء الآية على هيئة الاستثناء المفرّغ، وهو استثناء من أحوال عامة يقتضيها عموم الأمثال؛ لأن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال، أي لا يأتونك بمَثَلٍ إلا حال إيتائنا إيّاك الحقّ الذي لا محيدَ عنه وأحسن تفسيرا، وجعل ذلك مقارنا لإتيانهم وإن كان

(١) ينظر: ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٩: ٢٣.

بعده للدلالة على المسارعة إلى إبطال ما أتوا به تثبيتا لفؤاد النبي ﷺ[(١)]، والمسارعة في إبطال شُبَه الكافرين دليل على بطلان شُبههم وعدم أحقيّتها بالاستدلال، وصحة الردّ والإجابات عليها، مما يعني تحقّق الكشف عن الحجة والدليل ومن ثمّ الوصول إلى الحقّ.

– مجيء الفعل ﴿جِئْنَاكَ﴾ بصيغة الماضي للدلالة على تحقق الوقوع، أو إشارة إلى تعظيم مجيء الحقّ وأنه أمر مرعي لم يترك إلى أن يفعل بعد[(٢)]، بمعنى تحقق مجيء الحقّ من الله تعالى حال إتيانهم بالمثَل، وتحقق مجيء الحق دليل على كشفه وإظهاره وإبطال أمثال الكفار وشُبههم، ودليل على أحقيّته في الاستدلال، وعظمته عند الله تعالى، وقوّته بنفسه وعدم التباسه بالباطل.

(١) ينظر: أبو السعود العمادي، "تفسير أبي السعود"، ٥: ١٠٥؛ والمرجع السابق، ١٩: ٢٢.

(٢) دلالة الماضي على تحقق الوقوع كثيرا ما كان يستخدمها الآلوسي وابن عاشور في تفسيريْهما، لذا وظّفت ذلك في هذا المقام. ينظر: الآلوسي، "روح المعاني"، ٦: ٣٤١، عند قوله تعالى:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ هود: ١٠٦؛ ٧: ٣٦٩ عند قوله تعالى:﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾ النحل: ٢٨؛ ١٥: ٤٨٠ عند قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ الكوثر: ١. وابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ٢٣: ٢٦، عند قوله تعالى:﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ يس: ٥١؛ ٢٩: ٤٩ عند قوله تعالى:﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً﴾ الملك: ٢٧.

- ومما تجدر الإشارة إليه أن الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾ لا تدلّ فقط على فرادتها في استعمال القرآن وحسب، بل تدلّ على تفرّد القرآن ذاته بها، فهي تعكس بصورة واضحة تفرّد القرآن بكون آياته في غاية الحسن في تفسيرها وبيانها في حد ذاتها، فإن أفعل التفضيل ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ للمبالغة في الثناء على القرآن الكريم بهذا الحسن، وكأنها تثبت تفرّد القرآن بحججه وأدلته وبراهينه الساطعة القوية بدمغ أمثال وشُبه الكفار، ولا سبيل للمسلمين بغيرها لردّ كيد الكفار وإلجامهم وكشف الحقّ وإظهاره، ولذلك تفرّد هذه اللفظة في القرآن فيه دلالة على أن طريق الوصول إلى الحق وكشفه وإبطال الباطل هو طريق واحد، وهو القرآن الكريم!

المبحث الخامس: تكفل الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه وبيانه

احتوى المبحث على فريدة واحدة، وهي: ﴿تُحَرِّكْ﴾ وقد وردت في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦].

أولا: الدلالة المعجمية

الحَرَكة: ضدّ السكون، حَرُك يحْرُك حَرَكةً وحَرْكا[1]، وتحرَّك

(١) ينظر مادة (حرك) في: ابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ٤٥؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١٠: ٤١٠.

الشَّخصُ: حاول مضاعفةَ العمل وبذلَ الجهد لينجح[١]، ولا تكون الحركة إلا للجسم، وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان[٢].

وردت الفريدة ﴿تُحَرِّكَ﴾ في القرآن الكريم مرة واحدة مع تكرر الموقف ذاته الذي يرشد فيه الله تعالى نبيَّه ﷺ إلى كيفية تلقّي القرآن الكريم عن جبريل عليه السلام وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤]، ولكنّ المنهي عنه في آية سورة طه هو العجلة، بينما المنهي عنه في آية سورة القيامة هو تحريك اللسان، والفريدة ﴿تُحَرِّكَ﴾ لا تغني غناءها الفريدةُ ﴿تَعْجَلَ﴾ في سياق سورة القيامة، وحتى يتسنّى لنا تفسير الخاصيةّ الدلالية والقصد الدلالي لاستعمال الفريدة ﴿تُحَرِّكَ﴾ في سياقها دون الفريدة ﴿تَعْجَلَ﴾، كان لا بدّ من معرفة مفهوم هذه الفريدة، وربطها بسياقها الواردة فيه.

ثانيا: السياق الخاص

نهى الله تعالى نبيه ﷺ في هذه الآية عن التعجّل في حفظ القرآن مخافة أن يتفلّت منه، فقد كان رسول الله ﷺ يحرّك شفتيه ولسانه بالقرآن إذا أنزل عليه قبل فراغ جبريل عليه السلام من قراءة الوحي حرصا

(١) ينظر: مختار، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ١: ٤٧٩.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني، "المفردات في غريب القرآن"، ٢٢٩.

على أن يحفظه ﷺ فنزلت هذه الآية[1]، ومثل هذا قوله تعالى:﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾[2]، يقول الطبري: "قال بعضهم: قيل له ذلك، لأنه كان إذا نزل عليه منه شيء عجل به، يريد حفظه من حبه إياه، فقيل له: لا تعجل به فإنا سنحفظه عليك" [3].

ثالثا: سرّ اختيار الفريدة ﴿لَاتُحَرِّكۡ﴾ في سياقها وأسرارها البلاغية

- جاءت الفريدة بصيغة المضارع الدالة على الاستمرار والتجدد، وهذا يوحي بأن آيات القرآن ستتتابع في نزولها على النبي ﷺ وهي في تزايد، ولذلك نهاه الله تعالى عن تحريك لسانه حال نزول هذه الآية وفيما بعد إلى أن يكتمل نزول القرآن الكريم، وهذا إخبار عن الغيب بأنه سيكتمل، فسورة القيامة من أوائل ما نزل بمكة، وقد أخبرت عن تتابع نزول القرآن في المستقبل على النبي ﷺ إلى أن يكتمل، وأن الله سيجمعه في قلبه ﷺ، وقد وقع ذلك حقّا، فكان هذا إخبارا عن الغيب، ودلّ على إعجاز القرآن ووقوع التحدّي به، فهل استطاع أحد من المشركين أن يحول دون نزول القرآن على النبي ﷺ وهم يسمعون هذه الآية تخبر بتكفّل الله وَوَعْده بجمع القرآن في قلبه ﷺ؟!
- دلت الفريدة ﴿لَاتُحَرِّكۡ﴾ على آداب تلقّي النبي ﷺ القرآن من جبريل

(١) ينظر: الشوكاني، "فتح القدير"، ٧: ٣٦٥.

(٢) سورة طه آية: ١١٤.

(٣) الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن"، ٢٣: ٤٩٦.

عليه السلام، وقد نُهي النبي ﷺ عن تحريك لسانه والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضى إليه بالوحي؛ وقد يكون هذا النهي لما فيه من عدم الفهم، فَأُمر أن يصغي إلى جبريل عليه السلام بقلبه إلى أن يُقضى إليه بالوحي، وقد ذكر ابن العربي أن نَهْيَ النبي ﷺ في آية القيامة: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ عن تحريك لسانه والمبادرة إلى حفظه قبل أن يُقضى إليه بالوحي يُعَضِّدُ مَا تَقَدَّمَ فِي سُورَةِ الْمُزَّمِّلِ[1] مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ المزمل: ٤، فقال: "وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ، وذلك أَنَّ الْمُتَلَقِّنَ مِنْ حُكْمِهِ الأَوْكَد أَنْ يُصْغِيَ إلى الملَقِّنِ بقلبه، ولا يَسْتَعينُ بلسانه، فَيَشْتَرِك الفهمُ بين القَلْبِ واللِّسَانِ، فَيَذْهَبُ رُوحُ التَّحْصِيلِ بَيْنَهُمَا، وَيَخْزِلُ[2] اللِّسَانَ بتجرُّدِ الْقَلْبِ لِلْفَهْمِ؛ فَيَتَيَسَّرُ

(١) قال ابن العربي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ المزمل: ٤: " قال أَهلُ اللُّغة: مَعْنَاهُ بَيِّنٌ قراءَتُهُ، تَقُولُ العَرَبُ: ثَغْرٌ رَتِلٌ وَرَتَلٌ بفَتْح العَيْن وكَسْرها إِذَا كَانَ مُفَلَّجًا لا فَضَضَ فيه، قال مجاهد: معناه بَعْضُهُ إِثْرَ بَعْضٍ، وَقَالَ سعيد بن جبير: معناه فسَّرَه تَفْسِيرا، يريد تَفْسِيرَ الْقِرَاءَةِ، حَتَّى لا يُسْرَعُ فيه فَيَمْتَزِجَ بَعْضُهُ ببعض". محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المالكي، "أحكام القرآن". راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، (ط٣، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ)، ٤: ٣٢٧.

(٢) الخاء والزاء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الانقطاع والضَّعف، يقال خَزَلْتُ الشيءَ: قطعتُه، وانخَزَل فُلانٌ: ضعُف. ينظر مادة (خزل) في: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، "تهذيب اللغة". تحقيق محمد مرعب= = (ط١،

التَّحْصيلُ؛ وَتَحْرِيكُ اللِّسَانِ يُجَرِّدُ الْقَلْبَ عَنْ الْفَهْمِ، فَيَتَعَسَّرُ التَّحْصِيلُ بِعَادَةِ اللَّهِ الَّتِي يسَّرَها؛ وذلك مَعْلُومٌ عَادَةً فيَتَحَقَّقُ لِذِي مُشَاهَدَةٍ"[1].

- بيّن الله تعالى مدى النهي عن العجلة ومدتها[2] في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ﴾ [طه: ١١٤]، ولكنه لم يبيّن ذلك في آية سورة القيامة الواردة فيها الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكۡ﴾، بل بيّن سبحانه كيفية العجلة بتحريك اللسان؛ ولعل ذلك مناسبة لمقصد سورة القيامة القائم على إظهار قدرة الله، فاكتساب العلم وحفظه لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى[3]، ولذا فمجيء هذه الفريدة لإرشاد النبي ﷺ إلى عدم الاستعانة في طلب الحفظ بالترجيع وتحريك اللسان بل يطلبه من الله تعالى وقد تكفل الله بحفظه.
- نَهْي المولى سبحانه نبيهﷺ في الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكۡ﴾ عن تحريك لسانه في تلقي القرآن مع كونه أميا ثم جَمْع القرآن في قلبه من غير دراسة ولا تكرار وحفظها لمجرد سماعه لها، وتبليغها دون نسيان على مرّ الزمن أمر خارق للعادة يدل على كون القرآن معجزا، وتنبيها على أنهﷺ

بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١م)، ٧: ٩٤؛ وابن فارس، "مقاييس اللغة"، ٢: ١٧٧؛ وابن منظور، "لسان العرب"، ١١: ٢٠٤.

(١) ابن العربي المالكي، "أحكام القرآن"، ٤: ٣٤٩.

(٢) ينظر: الشنقيطي، "أضواء البيان"، ٨: ٣٧٤.

(٣) ينظر: الرازي، "مفاتيح الغيب"، ٣٠: ١٩٧.

لا كسب له في هذا القرآن بغير حسن التلقي إبعادا له عن قول البشر، وإثباتا لنبوّتهﷺ، وتمهيدا بما يحرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لذمّ ما طبع عليه الإنسان من العجلة[١] الواردة في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾[القيامة: ٢٠].

– تدلّ الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ على تلقّي النبيﷺ ما يوحى إليه على عجلة، وهذا يوحي بحرص النبيﷺ وكمال اعتنائه بتلقّي القرآن خشية أن يتفلّت منه، كما يوحي بمزيد حبهﷺ للقرآن وحرصه على أداء الرسالة، قال عامر الشعبي: "إنما كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبّه له، وحلاوته في لسانه، فنُهي عن ذلك حتى يجتمع؛ لأن بعضه مرتبط ببعض"[٢].

– تدل الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾على نَهْي النبيﷺ عن مسارعة جبريلعليه السلام في قراءته لما يوحى إليه، وهذا يدلّ على أنّ القراءة لا تكون إلا بتحريك اللسان بالحروف، وقد نقل ابن رشد[٣] في "البيان

(١) ينظر: المرجع السابق، ٣١: ١٢٨؛ والبقاعي، "نظم الدرر"، ٨: ٢٤٩.

(٢) ينظر: القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن"، ١٩: ١٠٦؛ والآلوسي، "روح المعاني"، ١٥: ١٥٧.

(٣) محمد بن أحمد ابن رشد، أبو الوليد: قاضي الجماعة بقرطبة، من أعيان المالكية، وهو جد ابن رشد الفيلسوف محمد بن أحمد، له تآليف منها: "المقدمات الممهدات" في الأحكام الشرعية، و" البيان والتحصيل" في الفقه، و" مختصر شرح معاني الآثار للطحاوي" وغيرها، مولده ووفاته

والتحصيل" عن الإمام مالك رحمه الله تعالى أنه سئل عن الذي يقرأ في الصلاة، لا يُسمِع أحدا ولا نفسه، ولا يحرك به لسانا، فقال: "ليست هذه قراءة، وإنما القراءة ما حرك له اللسان"(١).

- تدل الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ على أن عملية تلقي النبيﷺ للقرآن كاملا كان في اليقظة، يقول أبو شهبة: "والقرآن الكريم لم ينزل شيء منه إلا عن طريق جبريلعليه السلام ولم يأت شيء منه عن تكليم أو إلهام أو منام، بل كله أوحي به في اليقظة وحيا جليّا"(٢).
- ومما تجدر الإشارة إليه أن الفريدة ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾ لا تدلّ فقط على فرادتها في استعمال القرآن وحسب، بل تومئ بتفرّد القرآن عن الكتب السماوية بتكفّل الله تعالى بحفظه المطلق له، ولذلك تَفرُّد هذه اللفظة في القرآن الكريم فيه دلالة على تفرّد المولى سبحانه بحفظ القرآن، أي: لا تحرّك بالقرآن لسانك حال نزول هذه الآية وفيما بعد إلى أن يكتمل نزول القرآن الكريم، ولا تخش تفلّته منك، وليس لك إلا تلقّي

بقرطبة، توفي ٥٢٠هـ، ينظر ترجمته في: الزركلي، "الأعلام"، ٥: ٣١٦.

(١) ابن رشد القرطبي، "البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة". تحقيق محمد حجي وآخرون، (ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨هـ)، ١: ٤٩١.

(٢) محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، "المدخل لدراسة القرآن الكريم". (ط٢، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، ٦٣.

القرآن وتبليغه؛ لأن الله تكفّل بحفظه، وأعفاك من مؤنة التعب في تحصيله، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، يقول ابن كثير: "أنه عليه السلام كان إذا جاءه جبريل بالوحي، كلما قال جبريل آية قالها معه، من شدّة حرصه على حفظ القرآن، فأرشده الله تعالى إلى ما هو الأسهل والأخف في حقه؛ لئلا يشق عليه. فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝١٧﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، أي: أن نجمعه في صدرك، ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئًا"[(١)].

– إنّ تسجيل القرآن الكريم لحادثة تلقي النبيﷺ للقرآن الكريم له دلالته الخاصّة في تفرّد القرآن بكونه خاتم الشرائع السماوية وناسخها، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾[(٢)]، وبذلك أصبح القرآن الكريم كالجوهرة النفيسة وكالدرّ الذي يفصل بين الذهب (الكتب السماوية) في القلادة المفصّلة، فالدر(القرآن) فيها فريد والذهب (الكتب السماوية) مفرّد.

(١) ابن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، ٥: ٣١٩.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٩.

المبحث السادس: وجه العلاقة بين الفرائد القرآنية الواردة بشأن القرآن الكريم[1]

تتخذ العلاقة المعنوية الممكنة بين الآيات أو المفردات التي مدارها حكم واحد أو قضية واحدة صورا متعددة، اعتنى علماء الأصول ببيانها والتأصيل لمنهج فهمها والتعامل معها، فقد تكون هذه العلاقة علاقة عموم وخصوص، أو إجمال وتبيين، أو إطلاق وتقييد، أو إشكال وحلّه، أو ناسخ ومنسوخ، أو تكون الآيات أو المفردات متمّمة ومكمّلة لجوانب القضية العامة التي تدور حولها الآيات أو المفردات، وهذه العلاقات تشمل جميع آيات القرآن الكريم على اختلاف مواضيعها وقضاياها ولا تختص كما قد يُظن بآيات الأحكام.

وما يعنينا في هذه الدراسة التمثيل لوجوه ارتباط الفرائد الواردة بشأن القرآن الكريم ضمن السياق الكلي للآيات الواردة فيها هذه

(١) أفدت في موضوع العلاقات المعنوية بين الآيات من كتب الأصول ومنها: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، "إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول". تحقيق أحمد عزو عناية، (ط١، دمشق: دار الكتاب العربي)، كما أفدت في منهج البحث في التفسير الموضوعي من عدة مراجع، ومنها: عبد الستار فتح الله سعيد، "المدخل إلى التفسير الموضوعي"؛ وسامر عبد الرحمن رشواني، "منهج التفسير الموضوعي للقرآن الكريم دراسة نقدية". (ط١، سورية: دار الملتقى، ١٤٣٠هـ-١٩٩٠م).

الفرائد، والصور التي أخذتها هذه العلاقة:

تحدّثت الآية ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥]، الواردة فيها الفريدة ﴿رَمَضَانَ﴾ عن فريضة الصيام وعن إنزال القرآن الكريم في رمضان، مبيّنة أن المقصد الأعلى من نزول القرآن هو هداية الناس وصلاحهم وتحقيقه على المستوى الفردي والجماعي والعمراني، واختير هذا الشهر للصوم لفضله لنزول القرآن فيه وفيه ليلة القدر، ولذلك أمر الله تعالى عباده بالإيمان بالقرآن والعمل به، وهذا ما كان النبي ﷺ يبلّغه قومه ويطلبه منهم، ولكن الكفار أعرضوا عن القرآن والهدى، وأخلدوا إلى التقليد، فصوّر القرآن حال المعرضين عن القرآن الكريم وصيّرهم بمنزلة الأنعام ﴿يَنۡعِقُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١]، فهي تقبل بدعاء راعيها ولا تفهم لماذا دعا.

لقد عرضت الآيتان السابقتان إشكالية وهي أن الله تعالى أنزل القرآن للإيمان به وإذا بالمقلدين من الكفار لا يستجيبون لما دعوا إليه من الإيمان بالقرآن مع وضوح الحجج والبراهين الدالة على صدق القرآن، فهذه إشكالية تتطلب حلّا، ولكن عند النظر إلى الفرائد الأخرى سنلحظ عرضا وافيا لهذه الإشكالية وحلّها من حيث بيان أسباب الإعراض عن القرآن الكريم، وهل اكتفى الكفار بالإعراض عن القرآن أم أبرزوا عداوتهم للقرآن

وأهله، وما وجوه وأشكال عداوتهم تلك، وما موقف القرآن من هذه العداوة ومما يأتي به المنكرون والجاحدون من الكفار والمشركين من الشكوك تجاه القرآن، ثم ما نهاية هذه العداوة والكيد للقرآن وأهله؟

فما يزيل هذه الإشكالية هو بيان سبب إعراض الكفار عن القرآن الكريم، وقولهم بأن القرآن الكريم أساطير الأولين[1] وأقاصيص الأمم الأولى وليست كلام الله تعالى، وبيان سبب إعراض المنافقين الذين يفسدون في الأرض بسفك الدماء الحرام، والبغي والظلم، ويقطعون أرحامهم، وبيان الموانع التي حجبت قلوبهم عن القرآن الكريم والإيمان، وقد وردت في ذلك فريدتان، وهي: ﴿رَانَ﴾، و﴿أَقْفَالُهَآ﴾، وردت الفريدة ﴿رَانَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، ووردت الفريدة ﴿أَقْفَالُهَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

ولكن هل اكتفى الكفار بالإعراض عن القرآن؟ كلا بل أعلنوا عداوتهم للقرآن الكريم من جهتين، وضمن مرحلتين، الأولى: تأويلهم وتحريفاتهم للقرآن الكريم وإلقاء الشُّبَه حوله، وتُمثّل هذه المرحلة الفريدة ﴿عِضِينَ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾

(١) وهي الآيات: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ المطففين: ٧ -١٣.

ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الحجر: ٩٠-٩١]، حيث اقتسم جَمْع من المشركين من قريش القرآنَ بأقوالهم الكاذبة، فقالوا هو شعر، وسحر، وكهانة، وأساطير الأولين، والمرحلة الأخرى: سطو المشركين بالتالين للقرآن الكريم، وتُمثّل هذه المرحلة الفريدة ﴿يَسۡطُونَ﴾، وقد وردت في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمُنكَرَۖ يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ [الحج: ٧٢]، حيث أضمر المشركون الغيظ والبغضاء والشرّ في قلوبهم للقرآن الكريم وأهله، وهمّوا بالبطش بالمؤمنين.

ثم ما موقف القرآن من هذه العداوة والشكوك والتمويه التي يثيرونها تجاه القرآن الكريم؟

وقد تَبَيّن هذا الموقف من خلال الفريدة ﴿تَفۡسِيرٗا﴾فبعد أن حكى اللّه تعالى شبهةً لمشركي مكة بقوله تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢]، عطف على ذلك فذلكة جامعة تعمّ ما تقدم وما عسى أن يأتوا به من الشكوك والتمويه بأنّ كل ذلك مدحوض بالحجة الواضحة الكاشفة لترّهاتهم، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا﴾.

ثم في نهاية هذه المعركة بين الحق والباطل يُبيّن المولى سبحانه حقيقة ستبقى تصكّ الآذان إلى يوم القيامة، وهي تكفّل الله بحفظ القرآن الكريم وجمعه وبيانه، ليقطع الطريق على كل مَن تُسوّل له نفسه الصدّ عن القرآن والطعن فيه، وتسلية للمؤمنين بأن الله ناصر كتابه ولو كره الكافرون، وقد مثّلت هذه الحقيقة الفريدة ﴿تُحَرِّكَ﴾ وقد وردت في قوله تعالى:﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ

لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴾ [القيامة: ١٦]، فالله تعالى أحبط شكوكهم وطعنهم بالقرآن، وسيحبط كل محاولة لطمس هذا الدين وهذا الكتاب، فهيّأ الله مَن يحفظه في الصدور والسطور، وقيض الله مَن يأخذ بيانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتجد الأمة من بعده ما يعينها على فهم القرآن الكريم والعمل به.

ويمكن جمع العلائق بين هذه الفرائد بالعبارة الآتية:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم في رمضان ليكون منهج تربية وهداية للناس (رمضان)، ومَن أعرض عنه (ينعق) (ران) (أقفالها)، وعاداه وأهله (عضين) (يسطون)، فإن الله تعالى سيخذله وينصر كتابه وأولياءه (تفسيرا)، ويحفظ كتابه (لا تحرك).

على هذا النحو ترتبط العناصر الموضوعية للفرائد الواردة بشأن القرآن الكريم بعضها ببعض ضمن علاقة الإشكالية وحلّها، كما أنّ هذه الفرائد متمّمة ومكمّلة لجوانب القضية العامة التي تدور حولها هذه الفرائد، وهي قضية القرآن الكريم، فقد تناولت الفرائد التي تمت دراستها جوانبَ فريدة نفيسة تفرّد بها القرآن الكريم عن غيره كما سيأتي بيانها في الخاتمة، فهي لا تغطّي جميع الجوانب التي اشتمل عليها القرآن والمتعلقة به، ولذلك يمكن اعتبارها كلمات مفتاحية أساسية وردت في جوانب أساسية تخص القرآن الكريم تم تنظيمها في عناصر موضوعية، وَضَمّ هذه العناصر إلى بعضها وفق نظام منطقي وعلائق معنوية، فاتّسقت وتماسكت هذه العناصر وعبّرت وكشفت عن الرؤية القرآنية تجاه القرآن الكريم ذاته، وأقامت بناء قرّر واجب العبد تجاه القرآن، كما بينت موقف القرآن من خصومه الصادّين عنه وتَكَفّل الله بحفظ كتابه، وبذلك يكون

قد تحقّق المقصد الأساس من تفسير الفرائد القرآنية موضوعيا.

الخاتمة:

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات:

أولا: النتائج

١- من عادات القرآن الكريم الأسلوبية استعماله في الحديث عنه فرائد، وهي متمكّنة دلاليا من سياقها ويتلاءم معناها مع معنى ما يجاورها من الألفاظ داخل التركيب، ويرتبط تمكّن الفريدة بالعلاقات بين البنى المتوالية للنص بأكمله على وفق مناسبة اللفظة لمعناها وسياقها الذي استدعاها، وهذه العلاقات المتماسكة بين هذه العناصر مجتمعة تمكّن الفريدة دلاليا من التفرّد في سياقها بحيث تؤدي المعنى المسوقة من أجله بدقة ولا تغني لفظة أخرى تقترب من دلالتها العامة غناءَها.

٢- أشارت الفرائد إشارات وإيماءات متعددة أوحت بها وفي مجالات مختلفة فقهية وتربوية وأخلاقية ودعوية...

٣- وردت معظم هذه الفرائد محل الدراسة في سور مكية؛ وقد يُعلَّل ذلك بأمرين:

- عدد السور المكية يفوق بكثير عدد السور المدنيّة، فناسب ذلك كثرة الفرائد في السور المكيّة دون السور المدنيّة.
- فرادة طباع وأخلاق ومواقف أهل مكة وغرابتها، حيث صوّرت الفرائد في السور المكية المواقف العجيبة والطباع الفريدة المتعددة

لأهل مكة وعكستها بصورة جلية، فقد كان يغلب عليهم الكفر والعقائد المنحرفة، ولذا دلّت الفرائد الواردة في السور المكية على مقاصد القرآن المكي، وقامت ببناء التصور العقدي المتعلق بوحدانية الله تعالى، وتقرير نبوة النبي ﷺ وإثبات البعث واليوم الآخر، بالإضافة إلى معالجة هذه العقائد الفريدة بألفاظ فريدة قوية تصوّر جبروتهم وعنادهم وإعراضهم عن القرآن بصور شنيعة منفّرة فريدة كما في الفريدة (ينعق) مثلا، مما يجعلهم يشمئزون من هذه الصورة، التي فيها ما فيها من الحجة والإقناع لهم، وحينئذ إما أن يَهتدوا أو يُعرضوا فيهلكوا بعذاب الله تعالى.

وأما أهل المدينة فقد كان يغلب عليهم الإيمان وكانت تتحدث عن الفرائض والحدود والعبادات وذكر فيها المنافقون، وفيها مجادلة لأهل الكتاب، فلا يحتاج الأمر لفرائد كثيرة كما هو الحال في القرآن المكي، ولذا فتميَّزَ القرآن المدنيّ بأسلوب سهل لين واضح، وليس فيه ما يدعو لإقامة الحجج إلا بعض الآيات التي نزلت تحاجج أهل الكتاب، ولم يكن يَستعمل القرآن المدني الفريدة إلا إنْ كان هناك فعلا فرادة فيما تدل عليه، من مثل ورود الفريدة (أقفالها) في القرآن المدني وذلك لفرادة وغرابة وبشاعة ما وصل إليه المنافقون من الإعراض عن القرآن بعد كل هذا الانتشار للإسلام وإقامة الحجج عليهم، ولكن على قلوب هؤلاء أقفالها قد أحكم إغلاقها، فلا تصل إليها موعظة، ولا تنفعها ذكرى، فحُقّ أن تُفرَد قلوبُهم بفريدة لم تُفْرَدْ لقلوب غيرهم من البشر.

٤- عكست الفرائد محل الدراسة فرادتها في استعمال القرآن، وليس ذلك فحسب بل عكس بعضها كذلك تفرّد القرآن ذاته بها، كما في الفرائد ﴿رَمَضَانَ﴾ و﴿تَفْسِيرًا﴾ و﴿لَاتُحَرِّكْ﴾، التي دلّت على تفرّد القرآن في إنزاله في رمضان وكونه أحسن تفسيرا وأنه محفوظ بحفظ المولى سبحانه.

٥- عكست الفرائد فرادةَ الحدث المسوق في الآية، كما في الفريدة ﴿لَاتُحَرِّكْ﴾ فقد دلّت على فرادة حادثة تلقّي النبي ﷺ للقرآن من جبريل عليه السلام، والفريدة ﴿عِضِينَ﴾ التي دلّت على فرادة وغرابة قسمة المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين.

٦- عكست الفرائد تفرّد القرآن بمنهجه في معالجة إعراض الكفار وتحريفاتهم للقرآن من خلال وصفهم بأوصاف فريدة تنبئ عن طباع فريدة لهم، فناسب منهجُ القرآن الفريد في ذلك طبائعَهم الفريدة، وذلك من خلال الفرائد ﴿رَانَ﴾ و﴿أَقْفَالُهَآ﴾ و﴿يَنْعِقُ﴾ و﴿يَسْطُونَ﴾ و﴿عِضِينَ﴾.

٧- عكست الفرائد تفرّد القرآن بمنهجه في محاجّة الكفار بالحجة والبرهان، وذلك من خلال الفريدة ﴿تَفْسِيرًا﴾، وفي ذلك إشارة دعَوية وهي من باب قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥.

٨- تعلّق القلب بالله تعالى لا بالأسباب الدنيوية، وأن تحصيل العلم لا يكون إلا بتوفيق الله تعالى، وذلك من خلال الفريدة ﴿لَاتُحَرِّكْ﴾.

٩- أن يكون الولاء والبراء لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فلا موالاة للكفار فهم يكادون ﴿ يَسۡطُونَ ﴾ بالمؤمنين ويريدون هدم الدين وتفكيكه بجعلهم القرآن ﴿عِضِينَ ﴾.

ثانيا: التوصيات

١- مواصلة رَصْد الفرائد في القرآن الكريم بشكل عام، والفرائد الواردة بشأن الموضوعات القرآنية التي تناولتها الفرائد القرآنية على وجه الخصوص، ودراستها بطريقة أكثر عمقا، وأحسن عرضا، وأشمل نفعا.

٢- تجديد قراءتنا للقرآن الكريم ومدارسته بما يحقق تدبر وتثوير القرآن الكريم، وبما يعمل على التصدّي لمشاريع الطاعنين في القرآن الكريم التي تهدف إلى هدم الدين.

٣- تأليف معجم موضوعي للفرائد القرآنية، على غرار معاجم الألفاظ، ومعاجم الآيات.

المصادر والمراجع

المراجع العربية العامة

الآلوسي، محمود بن عبد الله. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني". تحقيق علي عبد الباري عطية، (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥ هـ).

الباقلاني، محمد بن الطيب. "إعجاز القرآن". (ط١، د. م: دار مكتبة الهلال، ١٤١٤هـ).

البسوميّ، باسم سعيد. "معجم الفرائد القرآنية". (د. ط، رام الله: مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، ١٤٢٢هـ).

البقاعي، إبراهيم بن عمر. "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". (د. ط، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ -١٩٩٥ م).

أبو بكر الجزائري، جابر بن موسى. "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير". (ط٥، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

حامدي، عبد الكريم. "مقاصد القرآن من تشريع الأحكام". (ط١، بيروت: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م).

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. "تفسير البحر المحيط". تحقيق صدقي محمد جميل. (د. ط، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ هـ).

ابن دريد، محمد بن الحسن. "جمهرة اللغة". تحقيق رمزي منير بعلبكي. (ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧م).

الرازي، محمد بن عمر. "مفاتيح الغيب-التفسير الكبير". (ط٣، بيروت:

دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. "تفسير الراغب الأصفهاني". ج١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة محمد بسيوني. (ط١، مصر: جامعة طنطا، ١٤٢٠هـ).

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. "المفردات في غريب القرآن". تحقيق صفوان عدنان الداودي. (ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية، ١٤١٢ هـ).

الربيعة، محمد بن عبد الله. "علم مقاصد السور". (ط١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٢هـ).

الزحيلي، وهبة بن مصطفى. "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج". (ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ).

الزرقاني، محمد عبد العظيم. "مناهل العرفان في علوم القرآن". (ط٣، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٢هـ-١٩٤٣م).

الزركشي، محمد بن عبد الله. "البرهان في علوم القرآن". تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. (ط١، مصر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م).

سرحان، عبد الله عبد الغني. "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية". (د. ط، السعودية: مركز التدبّر للاستشارات التربوية والتعليمية، مطابع نجد التجارية، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).

السعران، محمود. "علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي". (ط٢، القاهرة:

دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى. "تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم". وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن. (ط١، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م).

سعيد، عبد الستار فتح الله. "المدخل إلى التفسير الموضوعي". (ط٢، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ١٤١١هـ–١٩٩١م).

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق. "إصلاح المنطق". تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون. (ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٤٩م).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. "الإتقان في علوم القرآن". تحقيق محمود القيسية ومحمد أشرف الأتاسي. (ط١، أبو ظبي: مؤسسة النداء، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "الموافقات". تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. (ط١، د. م: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد. "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن". (د. ط، بيروت–لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ–١٩٩٥م).

أبو شُهبة، محمد بن سويلم. "المدخل لدراسة القرآن الكريم". (ط٢، القاهرة: مكتبة السنة، ١٤٢٣هـ–٢٠٠٣م).

الشوكاني، محمد بن علي. "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير". تحقيق يوسف الغوش. (ط٤، بيروت–لبنان: دار المعرفة، ١٤٢٨هـ).

الطبري محمد بن جرير. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق أحمد محمد شاكر. (ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»". (د. ط، تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م).

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. "مقاصد الشريعة الإسلامية". تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة. (د. ط، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م).

عباس، حسن. "خصائص الحروف العربية ومعانيها–دراسة–". (د. ط، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨).

ابن العربي، محمد بن عبد الله المالكي. "أحكام القرآن". راجع أصوله: محمد عبد القادر عطا. (ط٣، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م).

عمر، أحمد مختار. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، د. م: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ).

ابن فارس، أحمد بن زكريا. "مقاييس اللغة". تحقيق عبد السلام محمد هارون. (د. ط، د. م: دار الفكر، ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م).

القرطبي، محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق سمير البخاري. (د. ط، الرياض: دار عالم الكتب، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).

القطان، مناع. "مباحث في علوم القرآن". (ط٣، د. م: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

المراغي، أحمد مصطفى. "تفسير المراغي". (ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م).

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ).

المراجع المتعلقة بالدراسات العلمية

زبادي، توفيق بن علي. "أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها دراسة تطبيقية على سورة مريم". مجلة تدبّر، ٣، (١٤٣٩هـ-٢٠١٧م): ١٤١-٢٣٢.

العتيبي، سارة بنت نجر. "بلاغة الفرائد القرآنية". رسالة دكتوراه غير منشورة. (السعودية: كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م).

غافل، محمد عبد الزهرة؛ والحلفي، شكيب غازي. "التمكن الدّلالي للألفاظ الواردة مرة واحدة في القرآن الكريم". مجلة اللغة العربية وآدابها، ١٥، (١٤٣٣هـ-٢٠١٢م): ١٩٧-٢٤٤.

يونس، محمود عبد الله. "مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية". رسالة ماجستير غير منشورة، (مصر: كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر،

١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).

المراجع الإلكترونية

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. "من لطائف القرآن-الكفار بين الختم والغشاوة". https://goo.gl/fMLWUJ.

د. ن. "الفرق بين الران والختم والطبع"، https://goo.gl/fMLWUJ.

محمود، ياسر كامل. "عن رمضان في اللغة والتاريخ أتحدث". https://goo.gl/qTjLUp.

Bibliography

Al-Aluusi, Mahmoud bin Abdullah. "Ruuh Al-Ma'ani fi Tafsir Al-Qur'an Al-'Adhim wa As-Sab' Al-Mathany". Investigated by Ali 'Abd Al-Bari Atiya, (N.E, Beirut: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1415 AH).

Al-Baqalani, Mohammed bin Tayeb. "'I'Jaaz Al-Quran". (1th edt. N.P: Daar Maktabah Al-Hilaal, 1414 AH).

Bassoumi, Bassem Sa'id. "Mu'jam Al-Farayid Al-Quraniyyah". (N.E. Ramallah: Noon Center for Quranic Studies and Research, 1422 AH).

Bekaa'e, Ibrahim bin Omar. "Nadhmu Al-Durar fi Tanasub Al-Aayaat wa As-Suwar" (N.E, Beirut: Dar al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1415AH- 1995).

Abu Bakr Al-Jazairi, Jabir bin Musa. "Aysar At-Tafaasir li Kalaam Al-'Aliy Al-Qodeer". (5th edition. Medina: Maktabah Al-Oluum wal Hikam, 1424AH- 2003).

Haamidi, Abdel Karim. "Maqasid Al-Qur'an min Tashri'e Al-Ahkaam". (1th edt, Beirut: Dar Ibn Hazm for printing, publishing and distribution, 1429AH- 2008).

Abu Hayyan Al-Andalusi, Mohammed bin Yusuf. "Tafsir Al-Bahr Al-Muheet". Investigated by: Sidqi Mohammed Jamil. (N.E. Beirut: Dar Al-Fikr, 1420 AH).

Ibn Duraid, Mohammed bin Hassan. "Jumhurat Al-Lugga". Investigated by Ramzi Munir Baalbaki. (1th edt. Beirut: Dar Al-'Ilm lil Malaayin, 1987).

Al-Razi, Mohammed bin Omar. "Mafaatih Al-Ghayb-At-Tafsir Al-Kabir". (3rd edt. Beirut: Dar Ihya At-Turaath Al-'Arabi, 1420 AH).

Ar-Raagib Al-Asfahani, Al-Hussein bin Mohammad. "Tafsir Ar-Raaghib Al-Asfahani".1st part: Al-Muqaddima wa Tafsir Suuratil Baqarah, Investigated and studied by Mohammed Bassiouni. (1th edition. Egypt: University of Tanta, 1420 AH).

Ar-Raagib Al-Asfahani, Al-Hussein bin Mohammed. "Al-

Mufradaat fi Ghareeb Al-Qura'n". Investigated by Safwan 'Adnan Ad-Daoudi. (1th edition. Damascus, Beirut: Dar Al-Qalam, Dar Al-Shamiya, 1412 AH).

Ar-Rabi'a, Mohammed bin Abdullah. "'Ilm Maqaasid Al-Suwar". (1th edt. Catalogued by: King Fahd National Library, 1432 AH).

Az-Zuhaili, Wahba bin Mustafa. "Al-Tafsir Al-Munir fil 'Aqeedah wash-Sharee'ah wa Al-Manhaj" (2nd edt. Damascus: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir, 1418 AH).

Az-Zarqani, Mohammad Abdel Azim. "Manahil Al-'Irfaan fi Uluum Al-Qur'an". (3rd edt. Egypt: Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners. Press, 1362 AH-1943AD).

Az-Zarkshi, Mohammed bin Abdullah. "Al-Burhaan fi Uluum Al-Qur'aan". Investigated by Mohammad Abul Fadl Ibrahim. (1th edition. Egypt: Dar Ihya Al-Kutub Al-'Arabiyyah, Issa Al-Babi Al-Halabi and Partners Press, 1376 AH-1957AD).

Sarhan, Abdullah Abdul Ghani. "Al-Asrar Al-Balaghiyyah fee Al-Faraid Al-Qur'aaniyyah". (N.E, Saudi Arabia: At-Tadabbur Center for Educational Consultations, Najd Commercial Press, 1433 AH-2012AD).

Al-Sa'raan, Mahmoud. "I'lm Al-Lughat Muqaddimat lil Qari Al-'Arabi". (2nd edt. Cairo: Dar Al-Fikr Al-'Arabi, 1997).

Abu Su'uud Al-'Amaadi, Mohammad bin Mohammad bin Mustafa. "Tafsir 'Abi Su'uud aw Irshaad Al-'Aql Al-Saliim Ilaa Mazaaya Al-Kitaab Al-Kareem".Commentary by: Abdul Latif Abdul Rahman. (1st edt. Beirut-Lebanon: Daar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1419AH – 1999AD).

Saeed, Abdul Sattar Fathullah. "Al-Madkhal Ila At-Tafsir Al-Mawduui'". (2nd edt. Cairo: Dar At-Tawzee' wan Nashr Al-Islaamiyyah,1411AH - 1991).

Ibn Al-Sakeeti, Ya'qub bin Ishaq. "Islaah Al-Mantiq".

Investigated by Ahmad Mohammad Shaakir and Abdus Salam Mohammad Haroun. (3rd edt. Cairo: Dar Al Ma'arif, 1949).

As-Suyuuti, Jalaaluddin Abdur Rahman. "Al-Itqaan fee Uloom Al-Qur'aan". Investigated by Mahmoud Al-Qaysiyah and Mohammad Ashraf Al-'Ataasi. (1st edt. Abu Dhabi: Muassasa Al-Nida, 1424AH-2003AD).

Ash-Shaatibi, Ibrahim bin Musa. "Al-Muwaafaqaat". Investigated by Abu 'Ubaida Mashhour bin Hassan Al-Salman. (1st edt. N.P: Dar Ibn 'Affan, 1417 AH - 1997 AD).

Ash-Shinqeeti, Mohammed Al-Amin bin Mohammad. "Adwaa Al-Bayan fee Idaah Al-Qur'an bi Al-Qur'an" (N.P, Beirut-Lebanon: Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, 1415AH-1995AD).

Abu Shubha, Mohammed bin Suwaelim. "Al-Madkhal li Diraasat Al-Qur'an Al-Kareem". (2nd edt. Cairo: Maktabah As-Sunnah, 1423 AH-2003 AD).

Ash-Shawkaani, Mohammad bin Ali. "Al-Fath Al-Qodeer Al-Jaami' Bayna Fannay Ar-Riwaayah wa Diraayah min 'Ilm At-Tafseer". Investigated by Yousuf al-Ghosh. (4th edition. Beirut-Lebanon: Dar Al-Maarifah, 1428 AH).

At-Tabari Muhammad bin Jarir "Jaami' Al-Bayaan fi Tahweel Al-Qur'an". Investigated by Ahmad Mohammed Shaakir. (1st edt. Muassasah Ar-Risaalah, 1420AH- 2000).

Ibn 'Ashour, Mohamed At-Taahir bin Mohammad. "At-Tahrir wa At-Tanweer «Tahrir Al-Ma'naa As-Sadeed wa Tanweer Al-'Aql Al-Jadeed min Tafseer Al-Kitaab Al-Majeed». (N.E, Tunisia: Dar Sahnoun, 1997) .

Ibn 'Ashour, Mohammad Al-Taaher bin Mohammad. "Maqaasid Al-Shari'ah Al-Islaamiyyah". Investigated by Mohammed Al-Habeeb Ibn Khoja. (N.E, Qatar: Ministry of Awqaf and Islamic Affairs, 1425-2004).

'Abbas, Hassan. "Khasaais Al-Huruuf Al-'Arabiyyah wa Ma'aaneeha-A Study-". (N.E, Damascus: Manshuuraat Itihaad Al-Kuttaab Al-'Arab, 1998).

Ibn Al-'Arabi, Mohammad bin Abdullah Al-Maaliki. "Ahkaam Al-Qur'aan". Investigated by: Mohammad Abdul Qodei 'Atta. (3rd edt. Beirut-Lebanon: Dar Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1424 AH-2003AD).

Omar, Ahmad Mukhtar. "Mu'jam Al-Lugat Al-'Arabiyyah Al-Mu'aasiroh". (1st edt. N.P:'Aalim Al-Kutub, 1429 AH).

Ibn Faaris, Ahmad bin Zakariya. "Maqaayis Al-Luga". Investigated by Abdus Salam Mohammad Haroun. (N.E, N.P, Dar Al - Fikr, 1399 AH - 1979 AD).

Al-Qurtubi, Mohammad bin Ahmad. "Al-Jami' li Ahkaam Al-Qur'aan". Investigated by Samir Al-Bukhaari. (N.P: Riyadh: Dar 'Aalim Al-Kutub Al-'Ilmiyyah, 1423AH – 2003AD).

Al-Qattaan, Manna'. "Mabaahith fi Uluum Al-Qur'an". (3rd edt, N.E:Maktabah Al-Ma'aarif for publication and distribution, 1421AH - 2000 AD).

Al-Maraaghi, Ahmad Mustafa. "Tafsir Al-Maraaghi". (1st edt. Egypt: Sharikah wa Maktabah wa Matba'a Mustafa Al-Baabi Al-Halabi wa Awlaadihi, 1365 AH-1946AD).

Ibn Mandhoor, Jamal al-Deen Ibn Makram. "Lisaan Al-'Arab". (3rd edt, Beirut: Dar As-Saadir, 1414 AH).

References for Scientific Studies

Zibadi, Tawfeeq bin 'Ali. "Afaanin Al-Suurah Al-Qur'aaniyah fee Al-Dilaalah 'alaa Maqaasidiha Diraasah Tatbiqiyyaah 'alaa Suurat Maryam". *Journal of Tadhabbur*, 3, (1439 AH-2017AD): 141-232.

'Otaibi, Saarah bint Najjar. "Balaaghat Al-Faraayid Al-Qur'aaniyyah". Unpublished PhD thesis. (Saudi Arabia: College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University, 1434 AH-

2013AD).

Ghaafil, Mohammad Abdul az-Zahra; and Al-Halafi, Shakib Ghazi. "At-Tamakkun Ad-Dallaaliy lil Alfaadh Al-Waarida Marrah Waahidah fi Al-Qur'aan Al-Kareem". *Journal of Arabic Language and Literature*, 15, (1433 AH-2012AD): 197-244.

Yuunus, Mahmoud Abdullah. "Mafaarid Al-Alfaadh fee Al-Qur'aan Diraasat Lugawiyyah". An Unpublished Masters thesis, (Egypt: Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, 1421 AH-2000AD).

Online References

Al-Khaalidi, Saalah Abdul Fattah. "Min Lataaif Al-Qur'aan-Al-Kuffaar Bayna Al-khatm wal Ghashaawat". https://goo.gl/fMLWUJ.

N.P. "Al-Farq bayn Al-Raan wal Khatm wal Tab'e". https://goo.gl/fMLWUJ.

Mahmoud, Yaasir Khaamil. "'An Ramadaan fi Al-Lughat wa At-Taareekh Atahaddaath". https://goo.gl/qTjLUp.

The contents of the issue

No.	The research	The page
1)	**Anomalous Qiraa'aat in Al-Mustadrak: Study and Interpretation** Dr. Ahmad bun Faris As-Saloum	9
2)	**Al Lam'ah Fee Khilaaf As-Sab'ah by Imam "Abdul Wahab ibn Ahmad ibn Abdul Wahab Al Harethy Al Muzany Al Hanafy who is renowned as Ibn Wahban. died (768 A. D.) from the First Part of the Book up to the Last Chapters of Principles** Dr. Hishaam bun Sulaiman bin Muhammad Az-zariei	97
3)	**Biographies of [Quranic] Reciters Outside Al-Ma'arifa and Al-Ghaaya: Andalusian Reciters as Case Study** Dr. Yousuf bun Mushlih bin Mahl Ar-Radaadi	227
4)	**The Semantic Accuracy of Quranic Unique Words Mentioned in the Context of the Discussion About the Holy Quran** Dr. Mahmoud Ali Outhman Outhman	349
5)	**The importance of studying Arabic language for the students of Quranic studies and its means of advancement** Prof. Muhammad bun Abdil Azeez bun Muhammad Al-Awaaji	459
6)	**Exegetes' Methodology in dealing with Exegesis chains of transmission** Dr. Abdul Hai bin Dakhil Allah Al-Muhammadi	581
7)	**The judgement of Ghumari and Ibn Ashour on the Hadeeth of (Madinat Al-Ilm) the city of Knowledge** Dr. Ahmad bun Ali Al-Handoudi Al-Ghamidi	705

Publication Rules at the Journal (*)

- The research should be new and must have not been published before.
- It should be genuine, innovative and informative.
- It should not been excerpted from a previous published works of the researcher.
- It should comply with the standard academic research rules and its methodology.
- It should include the following:
  - Title page in Arabic.
  - Title page in English.
  - An abstract in Arabic.
  - An abstract in English.
  - Introduction.
  - Body of the research.
  - A conclusion that includes the research findings and recommendations.
  - Bibliography in Arabic.
  - Transliteration of Arabic bibliography in Latin alphabet on a separate list.
  - Necessary appendices (if any).
- If the research is published in paper form (hardcopy), the researcher will be given one free copy of the journal's issue in which his work was published and (10) copies excerpted from his research paper.
- In case the research is approved for publication, the journal assumes all of its copyrights and reserves the right to republish it in a hard or soft copy, and it also have the right to include it in a local and global databases with or without compensation, and without having to obtain the researcher's permission.
- The researcher shall not republish his research which has been accepted for publication in the journal in any other publishing channel without a prior written permission from the editor-in-chief.
- The style of documentation adopted in the journal is Chicago style.

(*) These general rules are explained in detail in the journal's website: http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

The Editorial Board

Prof. Dr. Amin bun A'ish Al–Muzaini
(editor)
A professor of Quranic science and its interpretation at Islamic University

Prof. Dr. Abdullah bun Julaidaan Az–Zufairi
A professor of Aqidah at Islamic University

Prof. Dr. Hafiz bun Muhammad Al–Hakami
A professor of Hadith Sciences at Islamic University

Prof. Dr. Muhammad Sa'd bun Ahmad Al–Youbi
A professor of Fundamentals of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Ahmad bun Muhammad Ar–Rufaa'i
A professor of Fiqh at Islamic University

Prof. Dr. Abdu Raheem bun Abdillah As–Shinqiti
A professor of Quranic recitations at Islamic University

Prof. Dr. Ali bun Sulaiman Al–Ubaid
A former professor of Quranic science and its interpretation at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. Dr. Mubarak Muhammad Ahmad Rahmat
A professor of Quranic studies at Ummu Darrman Islamic University

Prof. Dr. Muhammad bun Khalid Abdil Azeez Mansour
A professor of Fiqh and its fundaments at Jordanian and Kuwait University

***

Editorial Secretary: **Khalid bun Sa'd Al–Ghamidi**
Publishing department: **Omar bun Hasan al–abdali**

The consulting board

Prof.dr. Sa'd bun Turki Al–Khathlan
A former member of the high scholars

His highness Prince Dr. Sa'oud bun Salman bun Muhammad A'la Sa'oud
Associate professor of Aqidah at King Sa'oud University

His excellency Prof. dr. Yusuff bun Muhammad bun Sa'eed
Vice minister of Islamic affairs

Prof.dr. A'yaad bun Naami As–Salami
The editor –in- chief of Islamic Research's Journal

Prof.dr. Abdul Hadi bun Abdillah Hamitu
A professor of higher education in Morocco

Prof.dr. Musa'id bun Suleiman At–Tayyarr
Professor of Quranic Interpretation at King Saud's University

Prof. dr. Ghanim Qadouri Al–hamad
Professor at the college of education at Tikrit University

Prof. dr. Mubarak bun Yusuf Al–Hajiri
former Chancellor of the college of sharia at Kuwait University

Prof. dr. Zain Al–A'bideen bilaa Furaij
A professor of higher education at Al–Hassan the second's University

Prof. dr. Falih Muhammad As–Shageer
A professor of Hadith at Imam bun Saud's University

Prof. dr. Hamad bun Abdil Muhsin At–Tuwaijiri
A professor of Aqeedah at Imam Muhammad bun Saud's University

Prof. dr. Abdul Azeez bun Abdurrahman Ar–Rabee'a
Professor of compared Fiqh at the higher school for Judiciary

Paper version

Filed at the King Fahd National Library No. 8736/1439 and the date of 17/09/1439 AH

International serial number of periodicals (ISSN) 7898-1658

Online version

Filed at the King Fahd National Library No. 8738/1439 and the date of 17/09/1439 AH

International Serial Number of Periodicals (ISSN) 7901-1658

the journal's website

http://journals.iu.edu.sa/ILS/index.html

The papers are sent with the name of the Editor - in – Chief of the Journal to this E-mail address Es.journalils@iu.edu.sa

(The views expressed in the published papers reflect the views of the researchers only, and do not necessarily reflect the opinion of the journal)

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINAH

Islamic University Journal

of Islamic Legal Sciences

Vol : 188 part 1 Issue : 52 March 2019